دراسات



ROSA LUXEMBURG STIFTUNG

عبدالله الخطيب
توم رولينز
عبدالرحمن شاهين

مجتمع فلسطيني جديد؟

انتفاضة وصراع سوريا،
من وجهة نظر المخيمات الفلسطينية

عبدالله الخطيب
توم رولينز
عبدالرحمن شاهين

مجتمع فلسطيني جديد؟

انتفاضة وصراع سوريا،
من وجهة نظر المخيمات الفلسطينية

دراسة بتكليف من روزا لوكسمبورج شتيفتونج

عبدالله الخطيب ناشط فلسطيني سوري في مجال حقوق الإنسان، كان من المشاركين في الحراك السلمي ضدّ نظام الأسد ومن ثمّ شارك في المقاومة المدنية في مواجهة القوى المتطرفة المحلية في مخيم اليرموك. خلال حصار المخيم الذي استمرمن عام ٢٠١٣ حتّى ٢٠١٨ شارك في إقامة مشروع المدارس البديلة ومراكز اجتماعية أخرى وكذلك مشاريع زراعية لكسر الحصار. أُرغم مع غيره من الناشطين بعد اتفاق سوري- روسي عام ٢٠١٨ على الانتقال قسرًا إلى شمال سوريا. ومع نزوح الناشطين من جميع أنحاء سوريا، شارك في تأسيس مركز هوز للدراسات في مدينة اعزاز في ريف حلب، وما يزال هذا المركز يستضيف نقاشًا سياسيًا ملتزمًا بتنظيم التجمعات المحلية ضدّ السلطات التي تحاول تقليص مساحة المجتمع المدني هناك، شارك في تأسيس شبكة سرد وهي مدونة أدبية لتوثيق الذاكرة السورية عن الثورة والطرد والنفي والحرب. يقيم في ألمانيا منذ عام ٢٠١٨.

توم رولينز صحفي وباحث مستقل، قدّم تقاريرعن سوريا والمجتمع السوري والمجتمع الفلسطيني في سوريا منذ عام ٢٠١٤. كتب لقناة الجزيرة الإنكليزية، ومدى مصر، وذا ناشيونال، والإنساني الجديد، أقام في الشرق الأوسط عدّة سنوات ويقيم الآن في ألمانيا.

عبدالرحمن شاهين ناشط فلسطيني سوري وباحث عمل في عدّة مراكز للتنمية والتغيير المجتمعي في سوريا منها مركز وتد للتدريب والتطوير في جنوب دمشق وذلك خلال فترة حصار مخيم اليرموك. انتقل قسرًا إلى الشمال السوري عام ٢٠١٨، حيث شارك هناك في تأسيس مركز اعزاز للدراسات وشبكة سرد للذاكرة السورية، كما عمل في مركز هوز للتنمية الاجتماعية في شمال سوريا كمحاضر في قضايا الإسلام السياسي، نشر عدّة دراسات تناولت قضايا الدولة والحركات الإسلامية. يقيم الآن في ألمانيا.

شكر وتقدير: يود المؤلفون التعبيرعن شكرهم بدرجة أولى، لكلّ من وافق على تقديم شهادته لهذا التقرير، والشكر موصول لفريق روزا لوكسمبورج شتيفتونج في برلين الذين بدونهم لم يكن هذا البحث ممكنًا، ولرهام هواش لقيامها بالمراجعة النهائية.

معلومات النشر
كتاب صادر عن مؤسسة روزا لوكسمبورج شتيفتونغ برلين، وحدة غرب آسيا
Franz-Mehring-Platz 1
10243 Berlin
www.rosalux.de

إدارة: شارلوت تيناوي
ترجمة وتدقيق: معتصم حياتله
تصميم وإنتاج:ميديا سيرفيس، سبتايب.ستوديو/فادي عبد النور
أيار ٢٠٢٠

المحتويات

الملخص التنفيذي

يمثل هذا التقرير أول دراسة باللغة الانكليزية عن سياسة وديناميكية المجتمع «الفلسطيني ـ السوري» منذ بداية الانتفاضة السورية عام ٢٠١١ حتى يومنا هذا، وتبحث الدراسة في أثر الانتفاضة السورية، والصراع الذي تلاها على التجمعات الفلسطينية ـ السورية وكيفية مشاركة الفلسطينيين في أحداث هذه الانتفاضة بعد اندلاع الاحتجاجات الرئيسية الأولى في مدينة درعا في شهر آذار عام ٢٠١١.

تحمس المؤلفون لكتابة هذا التقرير لاعتقادهم أن هناك القليل من التركيزعلى كيفية تأثير الأزمة السورية على حوالي ٥٦٠,٠٠٠ لاجئ فلسطيني كانوا مقيمين في سوريا عشية انتفاضة عام ٢٠١١.

يمزج هذا التقرير تاريخين معًا، حيث يعرض تطور الأحداث في التجمعات الفلسطينية ضمن الانتفاضة السورية من خلال تاريخ الانتفاضة نفسها، فبدلاً من الحديث عن المجتمع الفلسطيني في سوريا ككيان متجانس غير فاعل ومنفصل عن المنظومة السياسية السورية، يُذكر فقط من حيث كونه «مؤيدًا للنظام» أو «مؤيدًا للمعارضة»، يسعى المؤلفون هنا إلى إعادة الفاعلية للمجتمعات الفلسطينية ـ السورية.

حول هذا التقرير

ركّز التقرير على ثلاث مخيمات في سوريا - مخيم درعا (درعا) ومخيم اليرموك (دمشق) ومخيم النيرب (حلب) – وقد تمّ اختيارها من أجل تحديد جدول زمني متصل على نطاق واسع للانتفاضة والصراع السوريين، أيضًا وفي ذات الوقت يبحث في كيفية إقحام المخيمات نحو الصراع من قبل جهات مختلفة.

بالأساس بُني التقرير على أكثر من ١٢ ساعة من المقابلات الأولية التي أجريت عن بعد وامتدت من شهر آب حتى شهر كانون أول عام ٢٠١٩، وقد أجريت المقابلات مع طيف واسع من الجهات الفاعلة الرئيسية في الاحداث المتعلقة بالمخيمات، بما في ذلك: نشطاء ومدافعون عن حقوق الإنسان وشخصيات من المجتمع المدني ومقاتلون وقادة في المعارضة (من خلفيات فلسطينية وسورية) وكذلك أعضاء في فصائل فلسطينية موالية للحكومة، وأيضًا مع أولئك الذين تفاوضوا على تسويات لنزاعات محلية في المخيمات الفلسطينية.

لم يكن المقصود من اختيار هذه العينة للمقابلات أن تكون تمثيلية بل سعى المؤلفون لمقابلة المصادر ذات المعرفة المباشرة والأكثر إلمامًا بالأحداث الرئيسية، مع الاستفادة أيضًا من خبرة المؤلفين المباشرة، سواء كانوا من الناشطين المشاركين في مبادرات المجتمع المدني داخل سوريا، أو باحثين وثقوا الأحداث من الخارج.

قائمة المختصرات

ASA **Arab Salvation Army**
جيش الإنقاذ العربي
قوة عسكرية شكلتها جامعة الدول العربية عام ١٩٤٧ لمحاربة المليشيات الصهيونية التي تقوم بتهجير الفلسطينيين قسرًا من منازلهم ومدنهم وقراهم داخل فلسطين التاريخية.

FSA **Free Syrian Army**
الجيش السوري الحر
يعتبر القوة الرئيسية المناهضة للأسد في سوريا منذ بداية التمرد المسلح والصراع الذي تلاه. تَشكل الجيش السوري الحر في البداية من ضباط وجنود انشقوا عن الجيش السوري للانضمام إلى المعارضة.

GAPAR **General Administration for Palestine Arab Refugees**
الهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب
تأسّست في الأصل باسم مؤسسة اللاجئين الفلسطينيين العرب في شهر كانون الثاني عام ١٩٤٩ ولكن أعيد تسميتها باسم الهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب في السبعينيات. وتعمل كهيئة حكومية لإدارة الشؤون الفلسطينية في سوريا وتقدم الأوراق الرسمية والخدمات والمهام الأخرى. ويذكر الموقع الإلكتروني للهيئة أيضًا أن المؤسسة تعتمد كليًا على المساهمات المالية من ميزانية الدولة السورية، وأنها تتبع إداريًا لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل التابعة للحكومة السورية.

HTS **Hay'at Tahrir al-Sham**
هيئة تحرير الشام
تحالف إسلاميّ متشدد تمّ تشكيله ويقوده فصيل كان يعرف سابقًا باسم جبهة النصرة. تسيطر الهيئة حاليًا على الكثير مّما تبقى من الشمال الغربي لسوريا الذي تسيطر عليه المعارضة، وكان لها تواجد في السابق في مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين جنوب دمشق.

IRGC **Iranian Revolutionary Guard Corps**
الحرس الثوري الإيراني
قوة عسكرية إيرانية قامت بدور فاعل في دعم الحكومة السورية بعد ٢٠١١-٢٠١٢. أشرف الحرس الثوري الإيراني على تشكيل الميليشيات الموالية للحكومة في جميع أنحاء البلاد، بما في ذلك داخل وحول التَجمعات الفلسطينية في حلب ودمشق.

ISIS **Islamic State in Iraq and Syria (later shortened to Islamic State)**
الدولة الإسلامية في العراق والشام (وتم اختصارها لاحقًا بالدولة الإسلامية)
ظهرت كقوة إسلامية متشددة في العراق وسوريا بعد عام ٢٠١٣، واستولت فيما بعد على مساحات شاسعة من الأراضي عبر البلدين وفي حزيران ٢٠١٤ أعلنت «دولة الخلافة.» تقلصت قبضة هذه الجماعة المتطرفة على هذه المنطقة لاحقًا في عدة جبهات من قبل تحالف دولي بقيادة الولايات المتحدة مدعومًا بقوات ذات غالبية كردية تقاتل على الأرض، وكذلك من قبل الحكومة السورية والقوات المدعومة من إيران. تعرف الدولة الإسلامية في العراق والشام عادة باسم «داعش» وهو اختصار للأحرف الأولى من اسمها باللغة العربية.

LCCs **Local Coordination Committees**
لجان التنسيق المحلية
أو التنسيقيات، أصبحت مبادرة نشاط مجتمعي حاسمة في الأيام الأولى من الانتفاضة من خلال تنظيم الاحتجاجات ورصد الانتهاكات وذلك عبر نشر الأدبيات في جميع أنحاء البلاد.

LDF **Local Defence Forces**
قوات الدفاع المحلي
هي مجموعة من المليشيات المدعومة من إيران في مدينة حلب والمناطق الريفية المحيطة بها، على غرار قوات الدفاع الوطني.

PARI **Palestinian Arab Refugee Institution**
مؤسسة اللاجئين العرب الفلسطينيين
هي المؤسسة التي سبقت الهيئة العامة للاجئين العرب الفلسطينيين، تأسست في شهر كانون الثاني عام ١٩٤٩ من قبل الحكومة السورية كسلطة رئيسية لتنظيم شؤون الفلسطينيين في سوريا.

PFLP-GC **Popular Front for the Liberation of Palestine - General Command**
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة
تعتبر القيادة العامة فصيلاً فلسطينيًا مواليًا لدمشق تاريخيًا بقيادة أحمد جبريل، وانشقت عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التابعة لجورج حبش في أواخر الستينيات. قامت القيادة العامة بالوقوف مع الحكومة السورية ودعمها منذ بداية الانتفاضة السورية وما تلاها من صراع.

PIJ **Palestinian Islamic Jihad**
حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين
فصيل فلسطيني مسلح يتبنى الفكر الجهادي وله روابط تاريخية مع إيران. شكل مع عدد من فصائل فلسطينية أخرى تحالف القوى العشرة في دمشق رفضًا لاتفاقات أوسلو الموقعة بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية التي تتخذ من رام الله مقرًا لها. على الرغم من أن حركة الجهاد الإسلامي اتخذت مبدئيًا موقفًا براغماتيًا تجاه الانتفاضة السورية، إلا أنّ الجماعة ما تزال تحتفظ بعلاقات وثيقة مع دمشق. لكنها لم تشارك في الأعمال القتالية إلى جانب النظام كما فعلت الفصائل الفلسطينية الأخرى في سوريا.

PLA **Palestine Liberation Army**
جيش التحرير الفلسطيني
تمّ تشكيله في الأساس كجناح عسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية في الستينيات، وتمّ استيعابه لاحقًا في الجيش السوري. يشترط القانون السوري الخدمة في جيش التحرير الفلسطيني على جميع اللاجئين الفلسطينين الذين قدموا إلى سوريا في عام ١٩٤٨ والمنحدرين منهم.

PLO **Palestine Liberation Organization**
منظمة التحرير الفلسطينية
تشكلت في عام ١٩٦٤ في وقت كان فيه الفلسطينيون يحاولون تكريس استقلالهم عن الداعمين الإقليميين، بما في ذلك مصر جمال عبد الناصر، وقد اعترفت جامعة الدول العربية في وقت لاحق بمنظمة التحرير الفلسطينية «كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني.»

SARC **Syrian Arab Red Crescent**
الهلال الأحمر العربي السوري
منظمة مساعدات تابعة للحكومة السورية وتقوم بتقديم المساعدات داخل الدولة السورية. تعرضت منظمة الهلال العربي السوري لانتقادات متكررة لافتقارها الحياد خلال عمليات تقديم المساعدات التي تقوم بها.

UNRWA **UN Relief and Works Agency for Palestine Refugees in the Near East**
الأنروا، وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى
وكالة أممية لتقديم المساعدات الإنسانية، وبعض الحماية، للاجئين الفلسطينيين الذين يندرجون تحت وصايتها.

مقدمة

في عام ١٩٤٨ نزح حوالي ٧٥٠,٠٠٠ فلسطيني من منازلهم خلال ما يطلق عليه الفلسطينيين اسم «النكبة»، والتي حلت بهم في أعقاب التهجير القسري الذي قامت به المليشيات الصهيونية في سياق خطة الأمم المتحدة للتقسيم عام ١٩٤٧، وتأسيس دولة إسرائيل في عام ١٩٤٨، والحرب العربية-الإسرائيلية الأولى بين عامي ١٩٤٨-١٩٤٩. ونتيجة لتلك النكبة توجه منهم ما يقارب ٧٥,٠٠٠ إلى ٩٠,٠٠٠ كلاجئين إلى سوريا. ومع نزوح ثلاث أرباع سكان فلسطين وإرسالهم نحو الحقول والقرى المجاورة والحدود، وجد الفلسطينيون القادمون إلى سوريا المأوى أينما استطاعوا: سواء في مخيمات أنشئت على عجل في مشارف المدن أو في المساجد والمدارس، في حين تمكن بعض من يمتلكون الامكانيات المادية من استئجار مساكن خاصة.

بدأت الحكومة السورية في وقت مبكر صياغة التشريعات وبناء المؤسسات، لتنظيم إقامة الفلسطينيين القادمين إلى سوريا.[1] وقد توّجت هذه التشريعات بإصدار القانون الأساسي ٢٦٠ لعام ١٩٥٦ ليكون التشريع الأساسي الذي ينظم حياة الفلسطينيين هناك.

نصّ القانون على «اعتبار الفلسطينيين المقيمين في الجمهورية العربية السورية اعتبارًا من تاريخ نفاذ هذا القانون كالسوريين في الأصل» من حيث جميع اللوائح التي صدرت في تلك الفترة فيما يتعلق بتوظيف الفلسطينيين وتنظيم عملهم وحقوقهم التجارية والخدمة العسكرية ولكن «مع الاحتفاظ بجنسيتهم الأصلية» بشكل حاسم.[2] وفي الواقع، مُنح الفلسطينيون نفس الحقوق التي يتمتع بها المواطنون السوريون باستثناء حق التصويت، كما وُضعت بعض القيود فيما يتعلق بالملكية العقارية.

في شهر كانون الثاني عام ١٩٤٩ أُنشئت مؤسسة اللاجئين الفلسطينيين العرب (PARI)، باعتبارها السلطة الرئيسية المعنية بإدارة الشؤون الفلسطينية في سوريا. في عام ١٩٧٤ تمّت إعادة تسميتها إلى «الهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب (GAPAR)، وما زال هذا الاسم يستخدم حتّى اليوم. وعلى الرغم من أن مؤسسة اللاجئين (PARI) خضعت في البداية لإشراف وزارة الداخلية ـ فإن (GAPAR) الهيئة العامة للاجئين تخضع اليوم لإشراف وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ـ إلّا أنّ هذه المؤسسة قد منحت قدرًا معينًا من الاستقلالية على مر السنين، حيث أنها تعمل «تماما كوزارة حكومية بحد ذاتها على الرغم من أنها لا تحمل تلك الصفة.»[3] قامت (GAPAR) بدور حاسم حيث أنها عملت على تسجيل اللاجئين الفلسطينيين وإصدار الوثائق والتنسيق مع وكالة الأمم المتحدة التي تمّ إنشاؤها خصيصًا للاجئين الفلسطينيين.

تأسست وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) في شهر كانون الأول عام ١٩٤٩ لمساعدة اللاجئين من فلسطين وذريتهم،[4] وبدأت عملياتها الميدانية في سوريا في شهر أيار عام ١٩٥٠ من خلال تقديم المساعدة الإنسانية للاجئين والمساعدة في إنشاء المخيمات.

وقد كانت الأونروا أكثر من مجرد وكالة لمساعدة للفلسطينيين، حيث أصبحت رمزًا لمسؤولية المجتمع الدولي عن الكارثة التي فُرضت على الشعب الفلسطيني. شملت ولاية الأونروا «اللاجئين الفلسطينيين- الذين كانت فلسطين مكان إقامتهم الطبيعي خلال الفترة من ١ حزيران ١٩٤٦ حتّى ١٥ أيار ١٩٤٨- الذين فقدوا المأوى وسبل كسب العيش على حد سواء نتيجة لصراع ١٩٤٨.»[5]

تطورت العديد من المجتمعات الفلسطينية في سوريا إلى فضاءات فاعلة، ويعود ذلك في حد كبير إلى الحقوق التي منحت لهم في سوريا والتي لا مثيل لها مقارنة بالدول العربية الأخرى،[6] حيث تمكنت من الحفاظ على الذاكرة الفلسطينية ولم تضطر إلى الانغلاق على نفسها. فقد سميت الطرقات بأسماء البلدات والقرى الأصلية للسكان في فلسطين إحياءً لذكراها، كما شارك الفلسطينيون في

١ - على سبيل المثال، تم منح السائقين والصيادين الفلسطينيين حق العمل في شهر تشرين ثاني عام ١٩٤٨، وذلك قبل قانون شهر أيلول لعام ١٩٤٩ والذي أتاح للفلسطينيين العمل في وظائف القطاع العام. وفي عام ١٩٥٥ مُنح الفلسطينيون حق الحصول على وثائق سفر صادرة عن الحكومة خاصة باللاجئين الفلسطينيين.

٢ - القانون الأساسي لعام ١٩٥٦ (٢٦٠/١٩٥٦)، مقتبس في أناهيد الحردان (٢٠١٦)، الفلسطينييون في سوريا: ذكريات النكبة لمجتمعات ممزقة، جامعة كولومبيا بريس، ص. ٥٧.

٣ - نيل غابيام (٢٠١٦)، سياسة المعاناة: مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في سوريا، جامعة انديانا بريس. ص. ٢٣.

٤ -وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) ومفوض الأمم المتحدة السامي لشؤون اللاجئين (٢٠٠٧)، «الأمم المتحدة واللاجئون الفلسطينيون»، كانون الثاني ٢٠٠٧. متوفر على الرابط:‹https://www.unrwa.org/userfiles/2010011791015.pdf›.

٥ - الأنروا، «لاجئو فلسطين»، غير مؤرخ، متاح على الرابط:‹https://www.unrwa.org/palestine-refugees›

٦ - أ. الحردان (٢٠١٢)، «مصير غير مؤكد للفلسطينيين في سوريا»، الانتفاضة الإلكترونية، ١٢ حزيران ٢٠١٢، متاح على الرابط:‹ https://electronicintifada.net/content/uncertain-fate-palestinians-syria/11490›.

حركات فاعلة ركزت على حقوق اللاجئين والعودة.[7] واندمج الفلسطينيون في مجتمعاتهم المحلية بحيث أمكن أن يتحدث أفراد من نفس الأسرة بلكنات مختلفة، بعضها تكون أقرب إلى جذورهم الفلسطينية والبعض الآخر أقرب إلى لهجات المجتمع المحلي. لم تكن المخيمات الفلسطينية السورية تجسيدًا للتمييز القانوني الذي غالبًا ما كان عليه في الدول المجاورة مثل لبنان.

في الواقع، مُنح الفلسطينيون المساحة قانونيًا للمشاركة في المجتمع السوري متمتّعين بالعديد من الحقوق التي يتمتع بها المواطنون، مع الاحتفاظ أيضًا بجنسيتهم الفلسطينية في الوقت ذاته. (وذلك بالطبع لا يهدف لتصويرالمجتمعات الفلسطينية على أنّها مثالية، فبعضها يعيش حالة من التهميش، كتلك الأكثر فقرًا في المجتمعات السورية). وفي النهاية مُنح الفلسطينيين نفس الحقوق تقريبًا التي يتمتع بها بقية المواطنين - عُمل بهذا النظام قبل استيلاء البعثيين على السلطة في الستينيات - جعل سوريا بالتأكيد البلد الأكثر ضيافة للاجئين الفلسطينيين قبل عام ٢٠١١.

كانت سورية عشية اندلاع الانتفاضة السورية في شهر آذار٢٠١١ موطنًا لحوالي ٥٦٠,٠٠٠ لاجئ فلسطيني. عاش معظمهم في دمشق وحولها، حيث أقام ثلث العدد الكلي من السكان الفلسطينيين في مخيم اليرموك، وهو مخيم غير رسمي في جنوب دمشق والذي كان الأكبر، ويمكن القول بأنه أهم تجمع للفلسطينيين في سوريا. في المجمل، كانت سوريا موطنًا لـ ١٢ مخيمًا بالإضافة إلى العديد من المجتمعات الأصغر والتي تعرف باسم «تجمعات».

صَنفت الأنروا المخيمات في سوريا على أنها إما رسمية (حيث تقوم الأنروا بمهام جمع النفايات منها) أو غير رسمية.[8] كان هناك تسع مخيمات رسمية، وهي: في مدينة درعا (مخيم درعا) وفي مدينة حماة (مخيم العائدين) وفي مدينة حمص (مخيم العائدين) وفي دمشق (مخيم جرمانا) و(مخيم خان دنون) و(مخيم خان الشيح) و(مخيم قبر الست «يطلق عليه أيضًا مخيم السيدة زينب/الحسينية») و(مخيم السبينة) وفي مدينة حلب (مخيم النيرب) وكذلك هناك ثلاث مخيمات غير رسمية وهي (مخيم عين التل أو حندرات) ويقع في مدينة حلب و(مخيم الرمل) في مدينة اللاذقية و(مخيم اليرموك) في مدينة دمشق.[9]

سوريا: ‹الراعي الرئيسي› للقضية الفلسطينية؟

استطاع الفلسطينيون السوريون التعامل مع هويتهم الفلسطينية ضمن الحدود التي حددتها لهم الأجهزة الأمنية السورية، حيث كان ينتظر منهم أن يتصرفوا كمواطنين متقبلين قيود الحكومة السورية المتجه نحو استبداد متصاعد عبر السنين. فقد شنت السلطات السورية عمليات تطهير متكررة قام بها الحكم البعثي بعد عام ١٩٦٣، ضدّ المنظمات الفلسطينية والجماعات المسلحة.[10] حيث قامت وكالات المخابرات والأفرع الأمنية الحكومية بمراقبة ورصد وتتبع والسيطرة على التجمعات الفلسطينية كما تفعل مع أي تجمع آخر. على سبيل المثال، كان الفرع ٢٣٥ (أو فرع فلسطين) المسؤول المباشر عن الملف الأمني للفلسطينيين في سوريا.

كانت سوريا على الدوام أكثر من مجرد دولة مضيفة للفلسطينيين، فقد كانت منذ عام ١٩٤٨ بمثابة راعٍ هام للسياسة الفلسطينية في الشتات والنشاط السياسي والعسكري. وقد ساهمت سوريا في قوة الجامعة العربية غير النظامية «جيش الإنقاذ العربي» الذي أوكلت إليه مهمة محاربة المليشيات الصهيونية خلال الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٤٨، وسيتم حل هذا الجيش في وقت لاحق من السنة. إلّا أن هذه الكوادر المبكرة ستواصل العمل لتقوم بتشكيل الجزء الأكبر من هيكلية جيش التحرير الفلسطيني،[11] الذي شُكّل كذراع عسكريّ لمنظمة التحرير الفلسطينية من ألوية من فلسطينيي مصر والعراق وسوريا،

٧ - وُلدت في المخيمات الفلسطينية في سوريا حركة لحق العودة الخاصة بهم من خلال شبكات الناشطين والأنشطة الثقافية، وذلك بعد تنامي الانطباع عن تخلي منظمة التحرير الفلسطينية عن حق اللاجئين الفلسطينيين خلال المفاوضات التي أدت في نهاية المطاف إلى اتفاقات أوسلو عام ١٩٩٣. ستستمر حركة حق العودة في لعب دور حاسم في النشاط السياسي الفلسطيني المستقبلي، على الأقل بعد اندلاع انتفاضة ٢٠١١ عندما توجه اللاجئون الفلسطينيون مرتين إلى الحدود في مرتفاعات الجولان التي تحتلها إسرائيل. قام الفلسطينيون في يوم النكبة في ١٥ أيار عام ٢٠١١، ومعظمهم من مخيم اليرموك فعليًا، بالعبور إلى الأراضي التي تحتلها إسرائيل واشتبكوا مع جنود إسرائيليين. ستعود هذه الأحداث بدورها إلى اليرموك، والتي سيتم استكشافها في الفصل الثاني من هذا التقرير، وستساهم في عملية التَسييس والعسكرة المتصاعدة آنذاك داخل أكبر مخيم فلسطيني في سوريا. لمزيد من المعلومات أُنظر: أ. الحردان (٢٠١٦)، فلسطينيون في سوريا.

٨ - إلا أن الهيئة العامة للاجئين العرب الفلسطينيين قامت بالإعتراف بـ ١٢ مخيمًا كمخيمات فلسطينية وتعاونت مع وكالة الأنروا لتوفير خدمات البنية التحتية الأساسية للمخيمات الغير رسمية.

٩ - الأنروا «أين نعمل: سوريا»، غير مؤرخ، متوفر على الرابط: ‹https://www.unrwa.org/where-we-work/syria›.

١٠ - بارود (٢٠١٤)، «كيف تبرأنا من الفلسطينين في سوريا»، كاونتر بانش، ٩ كانون ثاني ٢٠١٤، متوفر على الرابط:‹https://www.counterpunch.org/2014/01/09/starving-refugees/›

١١ - شفيق الحوت (٢٠١١)، حياتي في منظمة التحرير الفلسطينية: القصة الداخلية للنضال الفلسطيني. لندن: بلوتو بريس، ٢٠١١، ص. ٩-١٠.

ولكن تمّ استيعابه لاحقًا ضمن الجيش السوري. شكّلت سوريا أيضًا منذ الخمسينيات ألويتها الفلسطينية الخاصة، وإن كان ذلك تحت قيادة العسكريين السوريين.[١٢]

انخرطت سوريا فعليًا في سياسات المليشيات الفلسطينية بعد استلام البعثيين للسلطة عام ١٩٦٣، وانقلاب حافظ الأسد «التصحيحي» في عام ١٩٧٠. حيث شكّلت السلطات السورية «قوات الصاعقة» في محاولة لخلق بديل موال لدمشق عن فتح ياسر عرفات، والذي كان يبرز كالقوة الأكبر داخل منظمة التحرير الفلسطينية. وكان ينتظر في ذلك الوقت من القوات المدعومة من سوريا أن لا تتدخل في السياسة الداخلية،[١٣] إلا أن سوريا استخدمت في أغلب الأحيان المليشيات الفلسطينية لتحقيق أهدافها ضد أعدائها الإقليميين. ممّا أدّى إلى خلق انقسامات داخل المجتمع الفلسطيني في الوطن. كان من الواضح أن سوريا في عهد الرئيس حافظ الأسد تقدم نفسها كوسيط أساسي في الصراع العربي الإسرائيلي، تَرافق ذلك «الادعاء بأنّ سوريا هي الراعية الرئيس للقضية الفلسطينية والمسيطرة على ‹الورقة الفلسطينية›».[١٤] قام حافظ الأسد بدور نشط في دعم الفصائل الفلسطينية التي تماهت مع سياسته الخارجية، بينما تحرك ضدّ فصائل منظمة التحرير الفلسطينية التي اعتبرها عديمة الفائدة سياسيًا ولا تكن الولاء الكافي له.[١٥] مع بداية الحرب الأهلية في عام ١٩٧٥، سيصبح لبنان مختبره.

ظهرت الخلافات القديمة بين حافظ الأسد وزعيم منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات إلى العلن في أوائل الثمانينيات. وفي أوج الحرب الأهلية اللبنانية، قام الرئيس الأسد بدعم، وحتى ترتيب انقلاب داخل حركة فتح ضده. وكان من بين الفصائل المشاركة والمناهضة لعرفات كل من الصاعقة والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة والفصيل المنشق عن حركة فتح، وهو فتح الانتفاضة وفصائل أخرى موالية لسوريا.[١٦] اصطفّت تلك الفصائل مع سوريا وأصبحت تدور في فلك دمشق.[١٧] تم إلقاء القبض في تلك الأثناء على آلاف من مقاتلي ونشطاء حركة فتح داخل سوريا وسجنهم ومصادرة مكاتب الحركة وتسليمها للفصيل الراديكالي المنشق.

دفع ذلك حركة فتح للعمل في الخفاء، على الرغم من تهميشها سياسيًا وعدم قدرتها على العمل بحرية في سوريا، إلّا أنّ شعبيتها استمرت داخل المخيمات. في المجمل، كانت حملة النظام أحدث مثال على تعاملها مع القضية الفلسطينية من خلال القمع والتدخل والتي استمرت لسنوات، حيث ولدت مشاعر الكراهية وعدم الثقة في صفوف أجيال من الفلسطينيين الموالين لفتح والذين تربوا على قصص من الخيانة والعنف من قبل آبائهم وأجدادهم.[١٨]

كانت سوريا تستضيف العديد من الفصائل الفلسطينية عشية الانتفاضة السورية، فقد أصبحت دمشق مهدًا لكافة الفصائل المسلحة والأحزاب السياسية المناهضة لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ بدءًا من حماس الإسلامية وحركة الجهاد الفلسطينية إلى الجماعات اليسارية أو البعثية مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة وفتح الانتفاضة والصاعقة.

كما كان للعديد من هذه الجماعات علاقات وثيقة وطويلة الأمد مع المخابرات السورية، فكان لهذه الفصائل مكاتب في العديد من المخيمات في سوريا ـ على الرغم من أن التواجد الأقوى لفصيل بارز مثل القيادة العامة كان في دمشق وحولها، وخاصة مخيم اليرموك ـ وأدارت أيضًا قواعدها العسكرية الخاصة ومعسكرات تدريب الشباب، حيث كان الشباب الفلسطينيون يتعلمون خلال الصيف فنون المقاومة في التلال.[١٩]

١٢ - شَمل ذلك كتيبة الاستطلاع الثامنة والستين، والتي شكلتها الاستخبارات العسكرية في شهر كانون الأول عام ١٩٥٥ ومهمتها الرئيسية العمل كقوة رديفة والقيام بعمليات استخباراتية ومراقبة الحدود مع إسرائيل. وفي ذروتها يمكن أن تحصي الكتيبة ثمانية وستين ٦٠٠ مغوار. أنظر يزيد صايغ (١٩٩٧)، «الكفاح المسلح والبحث عن دولة: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٤٩ـ١٩٩٣»، جامعة أكسفورد بريس، ص. ٦٧.

١٣ - على سبيل المثال، وَجدت الكتيبة ٦٨ نفسها متورطةً في الانقسام الإقليمي بين البعثيين والناصريين. في بداية الستينيات كانت الكتيبة محسوبة إلى حد ما على الناصريين وتمّ إعدام أكثر من اثني عشر من أعضائها لتورطهم في انقلاب الناصريين في شهر تموز ١٩٦٣. قامت السطات السورية لاحقًا بانشاء أذرع فلسطينية أمنية لمراقبة وتتبع المنظمات الفلسطينية من خلال أفرع مخصصة للفلسطينيين. لمزيد من المعلومات أنظر: صايغ (١٩٩٧)، ص. ٦٩ـ٨٠.

١٤ - ريموند أ. هينيبوش (١٩٨٦)، «السياسة السورية في لبنان والفلسطينيين»، الدراسات العربية الفصلية، عدد ٨، ص. ١٣.

١٥ - للاطلاع على تفاصيل أشمل عن دور سوريا في منظمة التحرير الفلسطينية وسياسات المليشيات الفلسطينية بشكل أوسع، أنظر: صايغ (١٩٩٧)؛ وهينيبوش (١٩٨٦).

١٦ - لوس أنجيلوس تايمز (١٩٨٥)، «ستة فصائل فلسطينية تتحد ضد عرفات»، ٢٥ آذار ١٩٨٥.

١٧ - استمر هذا الاتجاه في كسب الفصائل المناهضة لحركة فتح من خلال تقديم الدعم وإرساء القواعد في سوريا خلال التسعينيات. وعارضت هذه الفصائل والتي تتخذ من سوريا مقرًا لها اتفاقات أوسلو عام ١٩٩٣ وبقيت العلاقات مجمدة. وعرف التحالف والذي مقره دمشق في ذلك الوقت «تحالف القوى الفلسطينية.»

١٨ - اتسعت دائرة الكراهية وعدم الثقة عندما نظر للرئيس الأسد أنه يستخدم الفصائل الفلسطينية لتحقيق أهدافه الخاصة خلال حرب المخيمات في لبنان ١٩٨٥ـ١٩٨٦، حيث تعاونت الفصائل الموالية لدمشق والصاعقة مع حركة أمل الشيعية اللبنانية في مهاجمة المخيمات الفلسطينية في لبنان. ذكرت العديد من الشهادات في ذلك الوقت رفض مقاتلي الصاعقة فتح النار على أقرانهم الفلسطينيين، مما دفع ضباط الجيش السوري إما إلى إطلاق النار عليهم أو اعتقالهم.

١٩ - لم تكن المشاركة في معسكرات الشباب بالضرورة انعكاسًا للانتماء السياسي ولم يكن مستغربا، على سبيل المثال، أن يقوم مراهق فلسطيني بالالتحاق بمعسكر صيفي لحركة الجهاد الإسلامي.

الانتفاضة السورية، رؤيتها من المخيمات:

غالبًا ما كان هناك نزعة في الاعلام منذ الانتفاضة السورية عام ٢٠١١ للحديث عن المجتمع الفلسطيني ككيان واحد ومتجانس ـ مُعرف إما أنه مؤيد للحكومة أو مؤيد للمعارضة. ومع ذلك، غالبًا ما كانت التجمعات الفلسطينية السورية متنوعة وذات فضاءات سياسية معقدة. وكما كانت جذور الانتفاضة السورية محلية بشكل لا يصدق، كانت الانتفاضة في المخيمات الفلسطينية محكومة بالجغرافيات المحلية وديناميكيات المجتمع والتاريخ. وقد أنتجت محاولات النظام للتلاعب بالسياسة الفلسطينية في الماضي، التي كانت عنيفة في أغلب الأحيان، توترات حادة دفعت الفلسطينيين السوريين إلى «الانخراط مع الثورة السورية في نفس السعي نحو الكرامة والحرية».[٢٠]

كان للفلسطينيين ضغائنهم التاريخية مع النظام بما يتجاوز المطالب الأوسع لحركة الاحتجاج الوطني لإنهاء قانون الطوارئ والقمع السياسي والفساد. ظهرت فجوات بين أجيال الفلسطينيين الشباب وآبائهم وأجدادهم، مما أدّى إلى الانقسام في ردود الأفعال. في هذه الأثناء، اعتبرت بعض جهات المعارضة السورية أنّ الفلسطينيين نشطاء سياسيون ذوو خبرة، ومن المفيد التحالف معهم.[٢١] وكانت هذه الديناميكيات تختلف من مخيم لآخر.

كان للفلسطينيين في الوقت نفسه «جدار خوف» خاص بهم، وربما تعاطفوا مع بعض المطالب المبكرة للاحتجاجات، ولكن التاريخ المشترك للنزوح والضعف في البلدان المضيفة أدّى إلى ميلهم نحو الحياد الإيجابي أو المشاركة المحدودة من خلال الأنشطة الإنسانية أو الإغاثية. غالبًا ما جعلت دروس التاريخ الفلسطيني المكتسبة بشق الأنفس المجتمعات المحلية في جميع أنحاء البلاد مترددة في الانخراط في الأحداث بشكل مباشر، ففي أوقات الحرب، كان الفلسطينيون في كثير من الأحيان كبش فداء ووجدوا أنفسهم عالقين وسط الأطراف المتناحرة. دفع اللاجئون ثمنًا باهظًا خلال مواجهات منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٧٠-١٩٧١ مع الأردن وفي الحرب الأهلية اللبنانية وفي حرب الخليج الأولى، وفي أعقاب الفوضى التي تلت الغزو الأمريكي واحتلاله للعراق عام ٢٠٠٣.

أدّت كل هذه الأحداث إلى تسييس مواقف اللاجئين الفلسطينيين في الدول المضيفة لهم، ممّا أدى في النهاية إلى الطرد (الأردن)، والمذابح (لبنان)، والاحتجاز والتشريد القسري (الكويت)، والعنف الدموي الطائفي (العراق). تُرِك اللاجئون ضعفاء بشكل مضاعف بسبب انعدام جنسيتهم وصفة اللجوء الموجودة مسبقًا، مما يعني أن سبل الحماية المتاحة للسكان النازحين الآخرين لم تكن بالضرورة متاحة للفلسطينيين.[٢٢]

دفعت أصوات فلسطينية مختلفة في بداية الأحداث في سوريا إلى الحياد خشية أن تتكرر تجارب لبنان والكويت والعراق. بالطبع كان هناك آخرون يطالبون بالمشاركة الفورية في الأحداث - إما إلى جانب المعارضة أو النظام. في نهاية المطاف، تمت عرقلة هذا الحياد عندما وصلت الأحداث إلى داخل المخيمات: كان من الصعب تحقيق الحياد بسبب قرب الصدامات من المخيمات، وبحلول منتصف عام ٢٠١٢ بدأت العديد من المخيمات بالانقلاب على نفسها لتصبح مواقع صراعات فلسطينية داخلية، وكذلك جبهات مواجهة بين مختلف أطراف الصراع السوري الأوسع. أصبح الحياد مستحيلاً في أغلب الأحيان.

كانت ردة فعل الفصائل الفلسطينية متضاربة ممّا زاد من تعقيد الديناميات داخل المخيمات. أصبح من الواضح في وقت مبكر إلى حد ما أن العديد من الفصائل المتحالفة تاريخيًا مع دمشق - وهي الجبهة الشعبية - القيادة العامة والصاعقة وفتح الانتفاضة - ستدعم الحكومة السورية، على الرغم من أنها ستستغرق وقتًا قبل أن تنضم إلى حملة النظام القمعية أو العمليات العسكرية ضد المعارضة.[٢٣] وكانت ردود الفصائل الأخرى أكثر تعقيدًا:

فتح: دفع التدخل السياسي في عام ٢٠١١ إلى قيام مقربين من السلطة الفلسطينية في رام الله لانتقاد هجوم الحكومة السورية على مخيم الرمل في اللاذقية، ظلت منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية في رام الله هادئة إلى حد كبير، ربما كموقف براغماتي في انتظار قراءة واضحة للأحداث في سوريا. فقد كانت الحركة

٢٠ - نابوليتانو (٢٠١٣)، «حماس والانتفاضة السورية: خيار صعب»، سياسة الشرق الأوسط، المجلد ٢٠، رقم. ٣.

٢١ - لم يثق البعض داخل المعارضة الوطنية بالتجمعات الفلسطينية بسبب الانطباع أنهم كانوا موالين للحكومة بطريقة أو أخرى.

٢٢ - ن. عريقات (٢٠١٤)، «اللاجئون الفلسطينيون والانتفاضة السورية: سد ثغرة الحماية أثناء التهجير القسري الثاني»، أوكسفورد جورنال أف إنترناشيونال رفيوجي لو، مجلد ٢٦.

٢٣ - نابوليتانو، «حماس والانتفاضة السورية».

منقسمة على نفسها. كان هناك أعضاء من قيادة إقليم سوريا في حركة فتح يدعمون الحراك المناهض للحكومة السورية بشكل فاعل - وقد تجلى ذلك من خلال قيام بعض الشخصيات من حركة فتح بتقديم الدعم للتيارات المناهضة للحكومة بشكل سري عبر تنسيقية مخيم اليرموك. إلا أن فتح استمرت باتباع سياسة من المفترض أنها محايدة خلال معظم فترات الصراع. لم تتخذ فتح أي قرار مباشر كحركة (سواء من رام الله أو دمشق) للمشاركة مع أي من طرفي النزاع، على الرغم من أن العديد من النشطاء المنتمين إلى فتح سارعوا بالوقوف إلى جانب الانتفاضة بين ٢٠١١ و٢٠١٢. ولكن المسؤولين الفلسطينيين قاموا بالطبع بأدوار خلف الكواليس طوال الوقت - خاصة في اليرموك - وغالبًا من خلال التوسط بين مختلف الجهات الفلسطينية على الأرض والسلطات السورية. إلا أن منظمة التحرير الفلسطينية خضعت لضغط شديد لعدم قيامها بالمزيد - علانية أو غير ذلك - للدفاع عن المجتمعات الفلسطينية داخل سوريا. يشكك البعض في أن منظمة التحرير الفلسطينية، وفتح على وجه الخصوص، أملت في تحسين موقفها مع الحكومة السورية من خلال موقفها الحيادي المزعوم أثناء الصراع، بعد سنوات من التهميش الذي تلا القطيعة مع الرئيس حافظ الأسد في الثمانينيات.

حماس: في شهر شباط عام ٢٠١٢، انفصلت حماس رسميًا عن النظام السوري ووقفت إلى جانب المتظاهرين المناهضين للأسد ومقاتلي المعارضة. وذُكر أن الحركة الإسلامية واصلت دعم وحدات الجيش السوري الحر حول دمشق بالتدريب على بناء الأنفاق وهندسة الصواريخ.[٢٤] نفت حماس ذلك بشكل متكرر، كما نفت صلاتها مع فصيل أكناف بيت المقدس - وهو فصيل إسلامي لعب دورًا بارزًا في أحداث مخيم اليرموك من عام ٢٠١٣ فصاعدًا، وكانت له امتدادات في مخيم درعا وكذلك في مخيمات السبينة وخان الشيح الواقعين في ضواحي دمشق. ومع ذلك، فقد أكسبتها التقارير الواردة عداوة مع حلفاء المقاومة السابقين داخل النظام السوري وحزب الله وإيران - وهم النظام السوري وحزب الله وإيران - بالرغم من ذلك، فقد نجحت حماس في فصل علاقاتها مع النظام السوري عن علاقاتها الاستراتيجية مع إيران، والتي تحسنت منذ ذلك الحين.[٢٥]

فصائل فلسطينية أخرى مقرها في سوريا: حاولت فصائل أصغر حجمًا، مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجهاد الإسلامي، اتخاذ مسارًا أكثر براغماتية. فاعترفوا بمطالب المتظاهرين المشروعة والمناهضة للأسد في وقت مبكر من الانتفاضة، ولكنهم أبقوا على حرصهم أن لا يجازفوا باستعداء النظام أو الطرد من قبل سلطات دمشق.[٢٦] مع مرور الوقت، تحولت هذه المواقف البراغماتية في نهاية المطاف إلى تماهي مع رواية النظام حول طبيعة الانتفاضة/ الصراع - خاصة بعد المراحل المتأخرة من الأزمة السورية في اليرموك. ربما اتخذت حركة الجهاد الإسلامي في البداية موقفًا أكثر براغماتية تجاه الانتفاضة السورية، مقارنة بالفصائل الأخرى الموالية لدمشق، إلا أن الفصيل حافظ على علاقات سياسية وثيقة مع دمشق بالرغم من أنه لم يشارك في العمليات العسكرية إلى جانب النظام - على عكس الفصائل الفلسطينية الأخرى في سوريا.

جيش التحرير الفلسطيني: كل المتحدرين من اللاجئين الفلسطينيين الذين نزحوا إلى سوريا عام ١٩٤٨ مطالبين بموجب القانون بالخدمة في جيش التحرير التحرير الفلسطيني، ما عدا بعض الإستثناءات. تم استهداف ضباط وجنود جيش التحرير الفلسطيني، على الأرجح من قبل

٢٤ - ن. بلانفورد (٢٠١٣)، «الأسد يتعرض لضربة جديدة بينما تقوم حماس بتغير المواقف لمساعدة المتمردين»، التايمز، ٥ نيسان ٢٠١٣.
٢٥ - م. العباسي (٢٠١٩)، «كيف انتهت خبرة حماس العسكرية مع المتمردين السوريين؟»، ميديل ايست أي، ٢٩ كانون الثاني. متوفر على الرابط: ‹https://www.middleeasteye.net/news/how-did-hamass-military-expertise-end-syrias-rebels›
٢٦ - نابوليتانو، «حماس والانتفاضة السورية».

الجماعات الموالية للحكومة وفصائل المعارضة، مع تحول الانتفاضة بشكل متزايد إلى صراع مسلح. وعلى الرغم من أن جيش التحرير الفلسطيني شهد موجة من الانشقاقات خلال العامين الأولين من الصراع، إلا أن جماعات من داخله حاربت إلى جانب الحكومة السورية على عدة جبهات بارزة في جميع أنحاء البلاد - بما في ذلك ريف دمشق وحلب ودير الزور ومناطق أخرى.

لجأت المخابرات السورية بشكل مزايد بعد منتصف عام ٢٠١٢ إلى المليشيات الفلسطينية الموالية والقوات الرديفة لمحاولة إبقاء المخيمات في صفها، وعلى الرغم من بعض المحاولات لإبعاد المخيمات عن الصراع، إلا أنَّ التسييس والعسكرة من قبل الحكومة السورية وحلفائها في البداية - ولكن بشكل متزايد من قبل بعض الجماعات المرتبطة بالمعارضة - جعل الحياد شبه مستحيل.

١. مخيم درعا

أجرت صحيفة وول ستريت جورنال في ٣١ كانون الثاني ٢٠١١ مقابلة نادرة مع الرئيس السوري بشار الأسد.

كانت انتفاضات الربيع العربي قد أسقطت مستبدًا إقليميًا واحدًا - الرئيس التونسي زين العابدين بن علي - وفي الوقت الذي تحدث فيه بشار، كانت سلطة الرئيس المصري حسني مبارك التي أحكمها لفترة طويلة على وشك الانتهاء أيضًا. وسيتبعه الزعيم الليبي معمر القذافي بعد ذلك بشهر.

مع ذلك بدا بشار مرتاحًا. قال الرئيس «أنا لا أتحدث هنا نيابة عن التونسيين أو المصريين، أنا أتحدث نيابة عن السوريين.»

> لدينا ظروف أكثر صعوبة من معظم الدول العربية ولكن على الرغم من ذلك فإن سوريا مستقرة. لماذا؟ لأنه يجب أن تكون على صلة وثيقة بمعتقدات الناس. هذه هي القضية الأساسية. عندما يكون هناك اختلاف بين سياستك ومعتقدات الناس ومصالحهم، سيكون لديك هذا الفراغ الذي يخلق الاضطراب.[٢٧]

من الواضح أن بشار شعر أنه فعل ما يكفي منذ وصوله إلى السلطة عام ٢٠٠٠ حتى لا يتجذر الربيع العربي في سوريا. وعلى الرغم من بعض الاحتجاجات المتناثرة في دمشق بعد وقت قصير من مقابلته، كان يمكن أن يكون بشار على حق.

في وقت ما من شهر شباط، قبل شهر تقريبًا من يوم الاحتجاجات الأول في درعا والذي أطلق في النهاية الانتفاضة السورية في كل البلاد، تم استدعاء أحمد وعشرات الفلسطينيين الآخرين من مخيم درعا للاستجواب من قبل الأمن العسكري في مدينة السويداء (حوالي ٤٥ كيلومتر شرق درعا وفي المنطقة ذات الغالبية الدرزية في جنوب سوريا).[٢٨]

يتذكر أحمد: «تم استدعاء حوالي ٤٠ شخص من مخيم درعا [من قبل السلطات] ليس كاعتقال جماعي، ولكن حصل كل فرد على استدعاء من الأمن العسكري. كان معظمنا من حركة فتح، وتمّ استدعائي أنا وأبي.»

في ذلك اليوم اقتيد الرجال إلى مكتب الضابط المسؤول، وبعد إهانتهم وتهديدهم من قبل ثلاثة محققين، كانت قناة الجزيرة تَبث على شاشة التلفاز في الخلفية، حيث تحدث المذيع عن أوراق فلسطين: ملف يحتوي على أكثر من ١٦٠٠ وثيقة مسربة تكشف عن دور منظمة التحرير الفلسطينية وقيادة فتح في مفاوضات السلام الإسرائيلية الفلسطينية.[٢٩]

تذكر أحمد كيف قام الضابط بمواجهتهم.

> قال: [هذه] الوثائق كشفتكم.
>
> ثم بدأ يهددنا، قائلاً إن أنشطة فتح قد خانت [سوريا]،
>
> والتي يمكن أن يعاقب عليها بالإعدام.
>
> لكن الاتهام الثاني، والأهم، جاء مباشرة من فمه.
>
> وقال: إذا حدث شيء في سوريا مثل ما حدث في مصر ...
>
> فماذا سيكون موقفك؟ وكيف ستكون ردة فعلك؟
>
> دلّ ذلك إلى أنهم كانوا يتوقعون أمرًا ما.

في النهاية سُمح لأحمد والآخرين بالعودة إلى منازلهم، ولكن ليس قبل إعطائهم أرقام هواتف، وقال: «في حال رأينا أي شيء غريب، وفعلوا ذلك أساسًا لكي [يتمكنوا] من استخدامنا كمخبرين.»

سواءً كانت أجهزة النظام تتوقع شيئًا مثل ما حدث في مصر أم لا، إلا أنها كانت تشعر بالذعر.

بعد بضعة أسابيع فقط، قامت مجموعة من الأطفال بكتابة شعارات على جدار فناء المدرسة ساخرين علانية من الرئيس الأسد. فسارعت السلطات إلى التصرف وتم القبض على الأولاد وتعذيبهم بوحشية.

لم تنجح محاولات العائلات لإطلاق سراح الأولاد وقام مسؤولون أمنيون كبار بشتم أمهاتهم (وهي إهانة في مجتمع درعا القبلي).

في ١٨ آذار ٢٠١١ نظمت العائلات احتجاجًا للمطالبة بإطلاق سراح الأولاد، وحضر البعض لدعمهم، ولكن حضر

٢٧ - وول ستريت جورنال (٢٠١١)، «مقابلة مع الرئيس السوري بشار الأسد»، ٣ كانون الثاني ٢٠١١.

٢٨ - طلبت جميع المصادر التي تمت مقابلتها في هذا الفصل، باستثناء طارق حمود، عدم الكشف عن هويتها لأسباب أمنية. فتم تغيير الأسماء وحجب التفاصيل وفقًا لذلك.

٢٩ - تم نشر تسريبات وبثت قناة الجزيرة سلسلة من الأفلام الوثائقية عنها في أواخر شهر كانون الثاني ٢٠١١. وتضمنت التسريبات الكشف عن تنازلات غير مسبوقة قدمها المفاوضون الفلسطينيون للإسرائيليين، وكانت إحراجًا كبيرًا لمنظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح. وأثارت التسريبات نقاشات في الإعلام العربي لأسابيع وأشهر بعد ذلك.

البعض الآخر ربما بدافع الفضول. كان أحمد هناك مع صديق آخر من مخيم درعا الفلسطيني القريب لمعرفة ما قد يحدث.

«لم نميز بين الفلسطينيين والسوريين أبدًا»

عادة ما يشار إلى المجتمع الفلسطيني في درعا «كمخيم درعا» أو «المخيم» في المفرد، على الرغم من أن المنطقة التي شغلها على طول الضواحي الوسطى الشرقية من درعا المحطة تتكون من ثلاثة مخيمات أنشأت على مر السنين لاستيعاب حالات نزوح مختلفة - فلسطينية وغيرها.

تم إنشاء المخيم الفلسطيني الرسمي المخدم من الأنروا بين عامي ١٩٥٠-١٩٥١ للاجئين الذين فروا من فلسطين عام ١٩٤٨. ثم تم إنشاء منطقة أخرى إلى الشرق تعرف باسم مخيم درعا الطوارئ لحوالي ٤،٢٠٠ لاجئ فلسطيني فروا من المناطق التي احتلتها إسرائيل حديثًا في الضفة الغربية و/أو مرتفعات الجولان خلال حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧. وبعد وقت قصير من وصول اللاجئين الفلسطينيين في عام ١٩٦٧، وصلت موجة أخرى من النازحين - هذه المرة، السوريين الفارين من البلدات والقرى في الجولان الذي احتلته إسرائيل حديثًا، إلى منطقة جنوب شرق التجمع الفلسطيني الأصلي. وأصبح يعرف باسم «مخيم النازحين.»

اختلطت المناطق الثلاثة معًا في السنوات التي تلت لدرجة أنه أصبح من الصعب تمييزها إلى حدٍ كبير، لم يكن مخيم درعا مكانًا ميسورًا بشكل خاص: فقد بنيت المساكن بشكل سيء وبصورة عشوائية، لكن المخيم كان مندمجًا اجتماعيًا وثقافيًا مع المجتمع السوري المهجر والمجاور وكذلك مع حياة درعا الأوسع، وهو جزء من نسيج المدينة، عمل سكان المخيم الفلسطينيون بشكلٍ عام في مهن منخفضة الدخل مثل الزراعة وفي القطاع العام الحكومي.

نشأ طارق حمود مدير مركز العودة الفلسطيني، وهي مجموعة مناصرة مقرها لندن، بالقرب من درعا وعمل في مجموعات المجتمع المدني ومقرها دمشق بعد عام ٢٠٠٥.

> يذكر الناس في درعا «مخيم درعا» فقط. فلم يميز أحد [بينهم]. كان في الأساس نفس المخيم، أما الاختلاف الوحيد كان نظريًا، وهو من وجهة نظر الحكومة أو الأونروا. على سبيل المثال، كان هناك شارع يمتد من المخيم الفلسطيني إلى مخيم النازحين ويمكنك المشي من جزء إلى آخر دون ملاحظة أي تغيير.

بحسب عمرو، وهو سوري نزح من مرتفعات الجولان في أواخر الستينيات:

> كان الحي الذي يضم مخيم اللاجئين الفلسطينيين ومخيم النازحين السوريين يعتبر أحد الأحياء الرئيسية في درعا. لم تكن هناك خلافات جدية بين السوريين والفلسطينيين في السنوات التي سبقت الانتفاضة. كان هناك الكثير من العائلات الفلسطينية التي تعيش خارج المخيم في مناطق أخرى من المدينة، وكانت الروابط في السنوات الأخيرة، بين السوريين والفلسطينيين [في درعا] بازدياد من خلال الزواج.

جلال سوري آخر من مخيم درعا للنازحين ويعود أصله إلى قرية سحم الجولان وفر مع عائلته عام ١٩٦٧:

> يتألف مخيم درعا من الفلسطينيين والنازحين السوريين من الجولان المحتل. كانت العلاقات بيننا جيدة للغاية وأخوية لدرجة أننا لم نكن نميزهم كلاجئين فلسطينيين في أغلب الأحيان.
>
> لم نفرق بين الفلسطينيين والسوريين أو أولئك النازحين [من الجولان].

سيثبت لاحقًا أهمية نمو المجتمع الفلسطيني جنبًا إلى جنب مع مجتمع النازحين السوريين، وأنّ التضامن كان مبنيًا بين المجتمعين.

كان العديد من مجتمع النازحين السوريين غاضبين من الحكومة السورية بسبب التفريط في أراضيهم ومنازلهم معها عام ١٩٦٧،[٣٠] واتهم الجيش السوري، والذي كان يترأسه حافظ الأسد والذي كان حينها وزيرًا للدفاع، بالانسحاب من هضبة الجولان دون قتال.

٣٠ - سريعًا ستصبح مجتمعات نازحة مماثلة على مشارف المدن السورية - بما في ذلك الحجر الأسود في ضواحي دمشق الجنوبية - مكونات رئيسية للانتفاضة السورية بمجرد اندلاعها من درعا في آذار ٢٠١١.

وكما عبّر أحد الشخصيات البارزة السابقة في الجبهة الجنوبية للجيش السوري الحر: «جعل هذا المزيج من [النازحين السوريين] والفلسطينيين المخيم أكثر ارتباطاً بمخاوف المواطنين في مدينة درعا مما قد يقوم به النظام.»

كان للمخيم في الوقت نفسه هويته ومظهره الفلسطينيين المميزين. فقدمت الأونروا الخدمات إلى أقدم منطقة فلسطينية وتضمنت (عشية انتفاضة ٢٠١١) مكتب إدارة المنطقة، وست مدارس، ومركز صحي، ومركز للرعاية الاجتماعية، ومركز نسائي، ورياض أطفال، ومركز توزيع مساعدات.[٣١] وكما في جميع المخيمات الفلسطينية في سوريا، كان للمخيم سياسيًا بنيته التحتية الخاصة به من المكاتب السياسية ومقرات الفصائل التي تمثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين-القيادة العامة، وفتح الانتفاضة، وحماس، والجهاد الإسلامي الفلسطيني، وغيرها. وكان بعض سكان المخيم مقاتلين سابقين شاركوا في مواجهات أيلول الأسود في ١٩٧٠-١٩٧١ مع الأردن أو في الحرب الأهلية اللبنانية. وقد شارك عدد أقل منهم في الجهاد في أفغانستان والعراق.[٣٢]

كان هناك أيضًا «حركة مؤيدة لفتح تعمل بشكل أو بآخر في السر بسبب سنوات من الاضطهاد [في عهد الرئيس حافظ الأسد]». وقال محمد، وهو ناشط فلسطيني آخر من المخيم: «كان ذلك ملحوظًا لأن معظم أعضاء الحركة كانوا من الشباب».[٣٣]

‹أصبح اتهام الفلسطينيين أمرًا روتينيًا›

١٨ آذار ٢٠١١

كانت مجموعة تضم عائلات الصبية المعتقلين متجمعة خارج المسجد العمري في درعا البلد، النصف الجنوبي من المدينة. وكان آخرون ينتظرون ويتجمعون حولهم.

كان أحمد هناك، وكذلك فعل فلسطينيون آخرون من المخيم، بما في ذلك بعض من استدعاهم الأمن العسكري قبل أسابيع قليلة.

وتذكر قائلاً: «حاولنا تجنب بعضنا البعض حتى لا نثير أي شك،» فلم نشأ أن نظهر وكأن الفلسطينيين كانوا في الاحتجاجات بطريقة منظمة.

> كان الجميع ينتظرون محاولين معرفة إذا كان هناك شيء ما يحدث.

وتذكر أبو سعيد، وهو ناشط فلسطيني آخر وكان مشاركًا في النشاطات سابقًا، حساسية مماثلة بين الفلسطينيين أثناء الاحتجاج.

> كنت من الأشخاص الذين انضموا إلى الاحتجاجات منذ البداية، وشاركت أيضًا في تنظيم المظاهرات وتشجيع المزيد من الأشخاص من المخيم على الانضمام أيضًا من خلال تغطية وجوهنا.

سرعان ما انهار الموقف خارج المسجد، وبدأ رشق الحجارة وتحرك المتظاهرون باتجاه وسط المدينة، حيث استطاعوا الوصول إليه عبر الوادي بين درعا البلد ودرعا المحطة شمالاً. فبدأت السلطات باستخدام مدافع المياه ومن ثم اطلاق الغاز المسيل للدموع لإيقاف المسيرة. وعلى الرغم من أن المتظاهرين لم يدركوا الأمر بعد، فقد صدر أمر من دمشق بإطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين.

يتذكر العديد من سكان المخيم السابقين، مثل بقية سكان المدينة، بأنهم شاهدوا طائرة هليكوبتر تحلق ثم تهبط في مكان ما في شمال المدينة، لقد وصلت قوات المداهمة من العاصمة وبدأ إطلاق النار بعد ذلك بوقت قصير، وقتل شابان.

ربما كان النظام يعتقد أنه بالانتقال السريع والحازم إلى العنف ستخمد الاحتجاجات في درعا، لكن العكس حصل.

كانت هناك المزيد من المظاهرات في اليوم التالي واليوم الذي تلاه.

وبينما كانت قوات الأمن تقتل المزيد من الأشخاص بالذخيرة الحية، كان غضب متظاهري درعا يتزايد، فاستمرت الاحتجاجات واقتربت أكثر فأكثر من المخيم الفلسطيني في المدينة، وهكذا بدأ المزيد من الفلسطينيين، ومعظمهم من الشباب بالمشاركة.

٣١ - الأنروا، ‹مخيم درعا›، غير مؤرخ، متوفر على الرابط:‹https://www.unrwa.org/where-we-work/syria/deraa-camp›.

٣٢ - أحد الأمثلة البارزة هو قحطان أبو عبيدة، وهو فلسطيني الأصل من مخيم درعا ومرتبط بجماعة الإخوان المسلمين السورية، حيث كان في الأردن عند اندلاع الانتفاضة. عبر أبو عبيدة إلى سوريا فيما بعد لمحاربة القوات الموالية للحكومة، ليقود بعدها لواء شهداء اليرموك (والذي أصبح فيما بعد جيش خالد بن الوليد)، والمرتبط بالدولة الإسلامية (داعش) والمتواجد في حوض اليرموك بريف درعا الغربي. لمزيد من المعلومات أنظر: أورينت نيوز (٢٠١٦)، «قابل أمير داعش في درعا: عضو الإخوان السابق برفقة عبدلله عزام في أفغانستان». متوفر على الرابط:‹https://orient-news.net/ar/https://orient-news.net/ar/news_show/120830/0/تعرّف-على-أمير-داعش-بدرعاإخواني-سابق-رافق-عبد-الله-عزام-بأفغانستان› في نفس الوقت، قامت حركة فتح ببعض الأنشطة السياسية في سوريا بعد أحداث الثمانينيات - على سبيل المثال، من خلال المجموعات الكشفية.

٣٣ - في نفس الوقت، قامت حركة فتح ببعض الأنشطة السياسية في سوريا بعد أحداث الثمانينيات - على سبيل المثال، من خلال المجموعات الكشفية.

قال أحمد: «في البداية، كنّا نخرج كأفراد واحدًا تلو الآخر، ولكن في نهاية المطاف بدأنا نخرج في مجموعات.»

في يوم ٢٠ آذار، وبعد يومين من أول احتجاج على سفح التل في درعا البلد، أحرق متظاهرون غاضبون عدة مكاتب حكومية في المنطقة المركزية من درعا المحطة، بما في ذلك قصر العدل ومكتب سيرياتل (شركة الاتصالات المملوكة لابن خال الرئيس الأسد، رامي مخلوف). كانت جميع هذه المباني على بعد بضع مئات من الأمتار فقط عن مدخل مخيم درعا.

سارع النظام إلى لوم الفلسطينيين، وفي اليوم التالي، أشار مقال في صحيفة الوطن الموالية للحكومة بإصبع الاتهام إلى «الفلسطينيين المتطرفين» لتورطهم في زعزعة الاستقرار والنهب والحرق المتعمد، وذلك نقلاً عن مصدر مجهول تم تعريفه «بفلسطيني رفيع المستوى» في دمشق ونسب له القول بإن الفلسطينيين مسؤولون بالفعل.[٣٤] قال حمود، وهو مقيم سابق في المخيم، مستحضرًا تلك الفترة في العام التالي «أصبح اتهام الفلسطينيين أمرًا روتينيا.»[٣٥]

بعد انتشار الاضطرابات إلى مدينة اللاذقية ذات الأغلبية العلوية سيتكرر هذا التكتيك من قبل الجهات الموالية للحكومة وكذلك من قبل مستشارة الأسد بثينة شعبان.

بالعودة إلى اللحظات الأولى للثورة، فقد انتقد الطبيب الفلسطيني أبو محمد استخدام المتظاهرين للحرق المتعمد في احتجاجات ٢٠ آذار، قبل أن يتذكر الشعور الذي ساد حينها في المخيم بأنّ على الفلسطينيين الابتعاد عن الوضع الذي أصبح خارج عن السيطرة بشكل متسارع، فقد دفع الفلسطينيون ثمنًا باهظًا في الماضي لمشاركتهم في أحداث داخلية لدول أخرى.

كان واضحًا منذ البداية أنّ هذه الاحتجاجات تخص الشعب السوري وليس الفلسطينيين الذين كانوا ضيوفًا في البلد، وبالتالي لم يكن لديهم الحق في الاحتجاج والتجمع. لذلك حاول المخيم البقاء خارج الأحداث.

كان الفلسطينيون يذهبون إلى المظاهرات خارج المخيم ولا يتظاهرون داخل المخيم نفسه لعدة أسباب، فلم يكن مخيم درعا قادرًا بأزقته الضيقة على استضافة هذا النوع من احتجاجات الطرقات الضخمة التي انطلقت خلال الربيع العربي؛ بالإضافة إلى أن النشطاء الفلسطينيين حاولوا على الأرجح أن يحافظوا على الانطباع بأنّ «المخيم» نفسه كان محايدًا وأيضًا لتجنب المخبرين الذين كانون يعملون مع الفصائل الفلسطينية الموالية للحكومة والمتعاملين مع الأفرع الأمنية داخل المخيم، ولتبديد أي احتمال بأن تقوم الأصوات الموالية للحكومة بالإشارة إلى تورط الفلسطينيين كدليل على صحة «نظريتهم» حول طبيعة احتجاجات مدينة درعا. وبالرغم من ذلك، فقد غدت أية محاولة للبقاء على الحياد أكثر صعوبة بالنظر إلى أنّ الاحتجاجات كانت تحدث داخل مخيم النازحين السوريين المجاور والمنطقة المجاورة له مباشرة وهي منطقة طريق السد.

يتذكرأحمد: «لقد بدأت الأمورتأخذ منحىً خاصًا بها.»

> ستواجه الشعارات والهتافات التي أثيرت في الجنازات بالرصاص وهكذا سقط ضحايا جدد وأصبحت كلّ جنازة أكبر من سابقتها. لقد كان حمام دم.

من الحصار إلى الحرب

قام الجيش السوري وقوات الأمن في ٢٥ نيسان، أي بعد أكثر من شهر بقليل على بدء الاحتجاجات، بتطويق مدينة درعا ومحاصرتها. فُرض حظر التجوال وقُطعت المياه والكهرباء والإنترنت. قامت نقاط التفتيش عند مداخل ومخارج المدينة بتقييد حركة الامدادات الرئيسية بما في ذلك دخول الغذاء والدواء، واستهدف القناصة المتمركزون على أسطح المباني حول المدينة المدنيين والأشخاص الذين كانوا يتنقلون حول المدينة. وفي الأيام التي تلت ذلك قُتل ما يصل إلى ٢٠٠ شخص بالرصاص.[٣٦]

في تلك الأثناء وبعد اندلاع الانتفاضة، كانت هناك محاولات في العديد من المخيمات الفلسطينية، للحفاظ على الحياد لفترة طويلة. إلّا أنّ تاريخًا من اندماج مخيم درعا في الوسط السياسي الأوسع في مدينة درعا، وكذلك القمع المتنامي من قبل قوات الأمن، سرعان ما جعل هذا الحياد مستحيلاً.

٣٤ - يبدو أن تقرير صحيفة الوطن المذكور لم يعد متاحًا على موقع الصحيفة، والرابط إلى نسخة سابقة من المقال لا يعمل الآن. مع ذلك فإن محتوى ذلك التقرير مقتبس وموثق في سلسلة من المقالات التي تشير إلى اندلاع الاحتجاجات في درعا في شهر آذار ٢٠١١. لمزيد من المعلومات أنظر: ط. حمود (٢٠١٢)، «أثر الثورة السورية على اللاجئين الفلسطينيين»، مجلة دراسات اللاجئين الفلسطنيين، مجلد ٢؛ أ. الحردان (٢٠١٢)، «مصير مجهول للفلسطينيين في سوريا».

٣٥ ط. حمود (٢٠١٢)، «أثر الثورة السورية على اللاجئين الفلسطينيين»، ص. ١١.

٣٦ - هيومن رايتس ووتش (٢٠١١)، «سوريا: جرائم ضد الإنسانية في درعا»،١ حزيران ٢٠١١، متوفر على الرابط: ‹https://www.hrw.org/news/2011/06/01/syria-crimes-against-humanity-daraa›

حسب الناشط الفلسطيني أبو سعيد:

> كانت مدينة درعا مختلفة بالنسبة للمخيمات [الفلسطينية] الأخرى في القدرة على إبقاء مخيم درعا محايدًا. فقد فرضت جغرافية المدينة نفسها ووجدنا أنفسنا في منتصف الصراع، لوجود مخيم النازحين إلى الشرق وطريق السد إلى الجنوبوسوق [وسط درعا] إلى الشمال. وبالتالي كان من الصعب للغاية الحفاظ على الحياد.

غادر المخيم أولئك الذين أرادوا البقاء محايدين وتم اعتبار الذين بقوا لحماية منازلهم على أنهم مع المعارضة.

سرعان ما أصبح مخيم درعا جزءًا من المعاقل المزدهرة المؤيدة للمعارضة في مدينة درعا، حيث أنه ربط درعا البلد بطريق السد ومخيم النازحين السوريين فيما بعد. فقد كان وادي النهر يفصل درعا البلد عن باقي أجزاء المدينة. كان المخيم بمثابة الجسر وبدأ الفلسطينيون بنقل الإمدادات إلى المناطق المحاصرة ونقل الجرحى إلى المستشفيات في درعا المحطة. استضاف المخيم في نهاية المطاف، أول مشفى ميداني غير حكومي في المدينة.

قُتل وسام الغول بالرصاص أثناء محاولته إنقاذ جريحين من درعا البلد، فأصبح أول شهيد فلسطيني يسقط في الصراع السوري.

قال الناشط محمد: «كانت مهمة وسام إخراج شخصين مصابين في احتجاج ونقلهما إلى المستشفى الوطني [في درعا المحطة]، فأطلق قناص النار على وسام من الخلف - رحمه الله - وقتله.»

طبقًا لأحمد، قُتل العديد من الفلسطينيين بطريقة مماثلة في الأيام التالية:

> لم يكن هناك سوى سيارتان يمكنهما المرور من وإلى المناطق المحاصرة وكلتاهما تعودان إلى حسام الطرعاني وأبو أحمد موسى الطفوري، وكلا الرجلين من المخيم، وسيستشهدان في وقت لاحق. كانوا ينقلون جميع الأشياء - الامدادات الطبية والمياه والجرحى والقتلى.

في أوائل أيار ٢٠١١، قُتل رجل فلسطيني آخر من المخيم كان ينقل الامدادات، واسمه مصطفى البحطيطي.[٣٧]

سرعان ما بدأ النشطاء والعاملون الطبيون والأطباء بتقديم الخدمات داخل المخيم نفسه. فقد أُسس أول مشفى ميداني في المدينة من قبل الدكتور حسين عادل، والذي كان أخصائي أنف وأذن وحنجرة وكان في الأصل من المخيم ويمارس عمله الطبي في المدينة. قال الناشط أحمد: «كان الدكتور عادل في المخيم عندما بدأ الحصار وقام أحد الأشخاص بالتبرع بمنزله الذي كان يضم قاعة كبيرة ... وقام [هو] وبعض الممرضات من المخيم بعلاج الناس في تلك القاعة.» وكات تُحضر الامدادات الطبية من صيدلية ما تزال تعمل داخل المخيم وعندما يكون هناك نقص ما كانوا يحضرون الضمادات من عيادة تابعة للأونروا داخل المخيم.

تمّ تخفيف الحصار في منتصف شهر أيار، إلّا أنّ دور المخيم الإنساني، والذي بدا داعمًا مباشرًا للاحتجاجات، لم يمر دون أن يلاحظه أحد. قال محمد: «كان هناك حديث بعد انتهاء الحصار أن المخيم قد جذب غضب النظام بسبب هذا الدور وبدأ استدعاء الناس للتحقيق.»

هكذا وصلت الانتفاضة إلى داخل مخيم درعا.

إلى السلاح

قام الجيش السوري وقوات الأمن في غضون أسابيع بتطويق وحصار مدينة درعا ومخيمها. لن تحاول القوات الموالية للحكومة القيام بحملة مماثلة ضد التمرد حتّى هجوم بابا عمرو الدموي في مدينة حمص في العام التالي.

وقعت أحداث مدينة درعا بسرعة فاجأت الكثير من الناس. وقامت الفصائل الفلسطينية الموالية للحكومة بالتفاعل مع الأحداث من خلال مراقبة النشاط المؤيد للمعارضة داخل المخيم ولكنّ الأهم هنا أنها لم تقم بتسليح حلفائها داخل المخيم. تصاعدت الاحتجاجات بسبب القمع فقط، فبدلاً من اتخاذ موقف تصالحي مع المحتجين، احتكم الأسد ودائرته الضيقة إلى العنف المطلق، وكان لذلك نتائج عكسية.

ولم تكن التجمعات الفلسطينية الأخرى في سوريا تكتفي بمراقبة أحداث الانتفاضة التي اكتسبت زخمًا متزايدًا حولها، فتوجهت مجموعة من النشطاء الفلسطينيين من مخيم اليرموك في دمشق إلى الجنوب السوري للمشاركة في تنظيم الاحتجاجات على مستوى الشارع وقد كان هؤلاء النشطاء في الغالب من الشبان والشابات الذين تماهوا مع أهداف و قيم الانتفاضة المتصاعدة. وكان أحمد كوسا من بينهم، وهو ناشط فلسطيني يعمل في المنظمات غير الحكومية ومن مواليد مخيم اليرموك.[٣٨]

كان أحمد كوسا يعمل مع لجان التنسيق المحلية داخل التجمعات الفلسطينية، في محاولة لإنشاء لجان تنسيق محلية في المخيمات. أصبحت لجان التنسيق المحلية (التنسيقيات) مبادرة حاسمة بالنسبة للنشطاء في أيام الانتفاضة الأولى.[٣٩]

ارتبط العديد من الفلسطينيين المشاركين في البداية مع لجان التنسيق المحلية، مثل أحمد كوسا بحركة فتح وشبكات المجتمع المدني في فترة ما قبل الحرب. ومن خلالهم ستشهد المخيمات الفلسطينية، مثل مخيم درعا، انفجارًا في المجتمع المدني والمبادرات الإنسانية والإعلامية لرصد الانتهاكات، وتوثيق الوفيات والإصابات، وتوفير الرعاية الصحية، وإيواء النازحين الفارين من العنف، ونقل الإمدادات الرئيسية إلى المناطق المحتاجة.

كان الآخرون في هذه المرحلة يحشدون أيضًا. بحلول شهر تشرين الثاني، قامت أعداد متزايدة من المنشقين عن الجيش السوري بتأسيس مجموعات صغيرة من ألوية الجيش السوري الحر في مدينة درعا وما حولها، وأصبحوا يشتبكون مع القوات الموالية للحكومة أكثر فأكثر.

كان ربيع حبيب ويحيى السلطي من مخيم درعا وفي قصتهما انعكاسٌ لقصة المخيم.

كان حبيب فلسطيني والسلطي نازح من الجولان. جاء كلاهما من خلفيات الطبقة العاملة في مخيم درعا، وتزوجا من شقيقتين من نفس العائلة قبل الانتفاضة.[٤٠]

شكّل حبيب والسلطي معًا أوّل مجموعة مسلحة معارضة في المخيم في شهر شباط ٢٠١٢: تحت إسم «لواء الشهيد طاهر الصياصنة».[٤١] وعلى الرغم من أنّ الفصيل بدأ نشاطه كلجنةٍ لحماية الحي، إلّا أنّه بحلول منتصف عام ٢٠١٢ أصبح جزءًا مهمًا من التمرد المحلي. وسار على خطاهم فلسطينيون آخرون بين عامي ٢٠١٢ و٢٠١٣، بما فيهم كتيبة شهداء الأقصى، وكتيبة شباب الأقصى، ولواء عائدون. كما انضمّ الضباط والجنود المنشقين من جيش التحرير الفلسطيني إلى القتال داخل مخيم درعا وحوله، بما في ذلك عقيد بارز من جيش التحرير الفلسطيني: وهو قحطان طباشة.[٤٢]

بحسب ممثل الجبهة الجنوبية السابق للجيش السوري الحر، فعليًا لم يميز النظام أوالمعارضة بين مشاركة أي من السوريين أوالفلسطينيين في الجيش الحر المتمركز في درعا.

في نهاية المطاف وعندما داهم النظام مدينة درعا ... تعاملوا مع سكان المخيم كمعارضين سوريين، ولم يفرقوا بين سوريين أوفلسطينيين. لقد كان الجميع سواسية.

وأضاف، وفي نفس الوقت قامت «ألوية درعا ... [أيضًا] بالتعامل واعتبار الفصائل الفلسطينية كجزء من المعارضة.»

أصبحت فصائل المعارضة، مثل لواء الشهيد طاهر الصياصنة، انعكاسًا لتاريخ مخيم درعا ضمن النسيج المدني الدرعاوي - بقربه من مخيم النازحين وكذلك اندماجه وتضامنه مع هموم السوريين البسطاء والطبقة العاملة داخل المدينة. وبالتالي تعامل كلّ من النظام والمعارضة مع المخيم كأي منطقة معارضة في البلد.

كان الجيش السوري بحلول شهر حزيران ٢٠١٢ يقصف مخيم درعا بقذائف الهاون والمدفعية بانتظام. حاولت قوات الجيش في نهاية المطاف اقتحام المخيم في ٢٧ تموز ٢٠١٢، إلا أن المعارضين ردوا بقيادة مقاتلي لواء طاهر الصياصنة، بمهاجمة مخفر درعا الذي تحول إلى موقع عسكري للنظام والذي كان في الحقيقة آخرالمواقع المحاذية مباشرة للمخيم.

سقط مخفر درعا بعد أربعة أيام من القتال وكان أول موقع في مدينة درعا يسقط في يد المعارضة المسلحة السورية المتنامية.

٣٧ - قاعدة بيانات مركز توثيق الانتهاكات، مصطفى البحطيطي، غير مؤرخ، متوفر على الرابط:‹http://www.vdc-sy.info/index.php/ar/details/martyrs/824#.XaiIGqnLcjc›

٣٨ - قتل أحمد كوسا برصاص قناص تابع للنظام في شهر كانون الثاني ٢٠١٣، خلال المراحل الأولي من حصار مخيم اليرموك وأثناء محاولته تهريب الخبز والإمدادات الطبية إلى المخيم. وبعد وفاته بفترة وجيزة، نشر نشطاء من مدينة داعل بمحافظة درعا فيديو احياءًا لذكرى أحمد. أنظر: «داعل تغني للشهيد البطل أحمد كوسا ابن مخيم اليرموك»، ١٣ كانون الثاني ٢٠١٣، ‹https://www.youtube.com/watch?v=n8TsFwqngA8›.

٣٩ - كارنيغي ميدل ايست سنتر (٢٠١٢)، «لجان التنسيق الحلية السورية»، مدونة ديوان، ٢٠ كانون الأول ٢٠١٢، متوفر على الرابط: https://carnegie-mec.org/diwan/٥٠٤٢٦?lang=en.

٤٠ - قُتل السلطي أثناء القتال على الخطوط الأمامية في ٢٧ تموز ٢٠١٢، قبل أن يفر حبيب أخيرًا من البلاد في وقت ما في عام ٢٠١٣.

٤١ - نشر بيان الفصيل الذي أعلن تشكيله على موقع يوتيوب في ٢٩ شباط ٢٠١٢. وبينما كان المتحدث يتلو البيان على أن الفصيل ينتمي لمدينة درعا ويدعم الجيش السوري الحر»، كان رجال ملثمون يقفون يحملون بنادقهم فيما يبدو كأنه صالون في منزل للطبقة العاملة. لا يوجد ذكر على الإطلاق للجذور الفلسطينية لبعض الأعضاء المؤسسين. أنظر فري سيريا ٠٠٣ (٢٠١٢)، «درعا: تشكيل لواء الشهيد طاهر الصياصنة». يوتيوب ٢٦ شباط ٢٠١٢، متاح على الربط: ‹https://www.youtube.com/watch?v=qUxybr٦mzsQ›

٤٢ - قتل طباشة لاحقًا في ٢٠١٢، وكان حضوره فاعلا في المعارك الأولى داخل وحول مخيم درعا.

أوكلت مهمة الدفن لأحمد، وهوالناشط الذي استدعي للتحقيق حتّى قبل بدء الانتفاضة.

قمنا بحفر مكان كبير في أرض الحديقة وقطعناه بالحجارة إلى أقسام ووثقنا هويات الأشخاص المدفونين فيه، قمنا بدفن ١٢ شخصًا في ذات المكان.

وسعنا تلك الحفرة بعد ذلك بشكل طولي لإنشاء سلسلة من القبور وتحولت الحديقة إلى مقبرة رسمية في نهاية المطاف.

وفي نهاية الأمر، تمّ إخلاء المخيم من سكانه وبقي على حاله لسنوات وما زالت المقبرة في مكانها إلّا أنّها محاطة بالركام.

٢. مخيم اليرموك

بدأ الجيش السوري بحلول أيار ٢٠١١ في اقتحام المزيد من البلدات والمدن في محاولة لقمع ما كان يتحول بسرعة إلى احتجاج عام ضدّ الرئيس الأسد على مستوى البلاد. وفي حين كانت مدينة درعا محاصرة مسبقًا من قبل الجيش السوري، وقد دخل مخيمها الفلسطيني في واجهة الأحداث، ستكتسب مدينة حمص وسط البلاد لقب «عاصمة الثورة» قريبًا. حيث تحول الحي تلو الآخر لمعارضة النظام واشتبك المعارضون مع قوات الأمن في هذه الأحياء حيث تم طرد قوات النظام من بعضها نهائيًا.[٤٣] بدأت حدّة الاحتجاجات تتصاعد في دمشق وما حولها في تلك الأثناء.

نجح مخيم اليرموك في دمشق، والذي يضمّ أكبر تجمع فلسطيني في سوريا والأهم سياسيا وثقافيًا، حتّى تلك الفترة في تجنب الانتفاضة المناهضة للحكومة والتي كانت تتأجج في ضواحيه.

كان المخيم الفلسطيني المترامي الأطراف في جنوب مدينة دمشق مندمجًا تمامًا مع محيطه، كما هو الحال مع مخيم درعا، وربط المخيم دمشق مع امتداد الضواحي التي تقطنها الطبقة العاملة في الغالب والواقعة على حدود المدينة الجنوبية والريف النائي وراءها وقد ضمّت المناطق المحاذية للمخيم أعدادًا كبيرة من العائلات السورية النازحة خلال حرب الأيام الستة عام١٩٦٧، حيث سكن معظمهم في منطقة الحجر الأسود جنوب دمشق. سيصبح جنوب دمشق قريبًا نموذجًا للضواحي المهملة على أطراف المدن السورية، والتي تشكلت نتيجة للتسامح الرسمي غير المعلن مع الهجرة من الريف إلى المدن بعد السبعينيات. أصبحت تلك الضواحي بعد انتفاضة ٢٠١١ الخزان البشري الرئيسي للمعارضة.[٤٤]

وفي ذات الوقت كانت أهمية مخيم اليرموك بالنسبة للفلسطينيين، وللنظام السوري كذلك، تفسر السبب الكامن وراء تعرض اليرموك للأحداث بصورة مغايرة في تلك الأيام الأولى.

أصبح مخيم اليرموك بعد إنشائه عام ١٩٥٧ أكبر تجمع فلسطيني في سوريا يضمّ اللاجئين الفلسطينيين الذين اتخذوا في ذلك الوقت من المساجد والمدارس وأماكن رسمية أخرى مأوىً لهم.[٤٥]

امتزجت عائلات الطبقة الوسطى من مدن شمال فلسطين (مثل مدينة صفد) مع الفلسطينيين الريفيين والطبقة العاملة. لم يعتبر مخيم اليرموك وفقًا لتصنيف الأنروا مخيمًا رسميًا - إلا أنّ وكالة الأمم المتحدة أدارت العديد من الخدمات داخل المخيم،[٤٦] بما في ذلك ثلاثة مراكز صحية وست عشرة مدرسة ومركزين اجتماعيين وأماكن تدريب أخرى.[٤٧]

كان المخيم أيضًا أحد المراكز التجارية الرئيسية في العاصمة: فقد كانت الأسواق في شارع لوبية مشهورة حول دمشق وكان السوريون والفلسطينيون من كافة أنحاء المدينة يقصدون اليرموك للتسوق وللقيام بأعمال تجارية والتفاعل الاجتماعي.

كان للمخيم على الصعيد الوطني موقعه الخاص أيضًا، وكان يعرف بين الفلسطينيين «بعاصمة الشتات»: فقد كانت شخصيات بارزة في منظمة التحرير الفلسطينية من مخيم اليرموك أو عاشت فيه ذات مرة، وأحيت المقابر في المخيم ذكرى الفدائيين الذين سقطوا في الصراع المستمر لعقود مع إسرائيل.[٤٨]

كما اندمج اليرموك مع محيطه الاجتماعي، فقد كان مندمجًا كذلك مع النظام السياسي لمدينة دمشق الخاضعة لسيطرة النظام. كان للمخيم بلديته الخاصة منذ عام ١٩٦٤، والتي جعلته إداريًا جزءًا من العاصمة، وكان للفصائل الفلسطينية مكاتب وممثلين عنهم ومراكز اجتماعية في

٤٣ - ن. ثومبسون (٢٠١٢)، «حمص: شتاء دموي في عاصمة الثورة السورية»، سي إن إن، ٧ شباط ٢٠١٢. متوفر على الرابط: ‹https://edition.cnn.com/2011/12/16/world/meast/syria-homs-profile/index.html›

٤٤ - ت. رولينز (٢٠١٨)، «انطلقت الانتفاضة السورية من ضواحيها المهملة، والآن يريد الأسد إعادة بنائها». ذي ناشيونال، ١٨ حزيران ٢٠١٨. متوفر على الرابط:‹https://www.thenational.ae/world/mena/syria-s-uprising-came-from-its-neglected-suburbs-now-assad-wants-to-rebuild-them-1.741483›

٤٥ - الأنروا، اليرموك (مخيم غير رسمي)، غير مؤرخ، متوفر على الرابط:‹https://www.unrwa.org/where-we-work/syria/yarmouk-unofficial-camp›

٤٦ - المصدر السابق.؛ أ. تلتنز (محرر) (٢٠٠٦)، اللاجئين الفلسطينيين في سوريا: رأس مال بشري، مصادر اقتصادية، ظروف المعيشة، فافو ريسيرش فاونديشن، ٢٠٠٦، ص. ٧.

٤٧ - تم تدمير جميع منشآت الأنروا تقريبًا في مخيم اليرموك أو لحقت بها أضرار بالغة في الهجوم الموالي للحكومة والذي أعاد اليرموك إلى سيطرة الحكومة السورية في شهر أيار ٢٠١٨. للمزيد أنظر: الأنروا (٢٠١٨)، «تقريبًا جميع منشآت الأنروا في مخيمي اليرموك ودرعا إما دمرتكليًا أولحقت بها أضرار بالغة»، ١ كانون الأول ٢٠١٨. متوفر على الرابط: https://www.unrwa.org/newsroom/press-releases/almost-all-unrwa-installations-yarmouk-and-dera%E2%80%99-camp-syria-severely-damaged.

٤٨ - كلمة «فدائيين» عربية وتشير إلى «أولئك الذين يرغبون في الموت من أجل قضية».وأصبحت الاسم الأكثر شيوعًا للمقاتلين الفلسطينين خلال الثورة الفلسطينية في الستينيات والسبعينيات.

كل أرجائه. وفي تناقض صارخ مع المخيمات الأخرى، كان لليرموك شوارع عريضة وكبيرة بما يكفي لدمج خطوط حافلات المدينة وربط المخيم ببقية مناطق دمشق.

في الوقت نفسه، كان عملاء الأمن يراقبون الأحداث في المخيم بدقة كما في أي مكان آخر.[49] كان من المتوقع أن يعيش الفلسطينيون بموجب قواعد الأسد مثل جيرانهم السوريين.

‹بدنا نحطوا بالتابوت للبعتنا حتى نموت›

استمر مخيم اليرموك بالبقاء خارج الأحداث إلى حدٍ كبير ولكن كانت هناك مظاهرة وحيدة قبل منتصف عام ٢٠١١، تضامنًا مع مخيم الرمل في اللاذقية. قام المخيم باستقبال مئات العائلات من مدينة حمص وأحياء دمشق التي تعرضت لعمليات القمع والتنكيل، حيث قامت المنظمات الغير حكومية والجمعيات الأهلية، بما فيها تلك التابعة للفصائل، ببذل جهود كبيرة لمساعدة القادمين الجدد. لكن مع حلول الصيف، كانت فلسطين، وليست سوريا، هي من أطلق مسيرة المخيم الطويلة نحو الكارثة.

بالكاد تفصل ثلاثة أسابيع بين يوم النكبة (١٥ أيار) عن يوم النكسة (٥ خزيران)، وهما من أهم الأحداث السنوية في التقويم الوطني الفلسطيني. يوم ١٥ أيار هو يوم النكبة «دمار الوطن» عام ١٩٤٨ وما تلاه. وأمّا النكسة (٥ حزيران)، هي الكلمة العربية المستخدمة للإشارة إلى هزيمة الجيوش العربية على يد إسرائيل في عام ١٩٦٧.

كان الفلسطينيون في عام ٢٠١١ يخططون لإحياء ذكرى لجوئهم من خلال التوجه إلى حدود ما يعرف الآن بدولة إسرائيل. في سوريا، تطلبت مسيرة العودة إلى مرتفعات الجولان بمناسبة يوم النكبة القيام بحشد جماهيري للفصائل الفلسطينية والهيئات السياسية والمنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني والمجموعات الثقافية والنشطاء. وقد قام نشطاء في الأردن ولبنان وسوريا بتنسيق الخطط عبر الإنترنت. حصلت المسيرة على موافقة السلطات السورية الهامة التي بموجبها يتمكن الناس من الوصول إلى منطقة الحدود الخاضعة للمراقبة بشكل محكم، وخاصة بالنسبة للفلسطينيين الذين كانوا ممنوعين بشكل عام من التواجد بالقرب من الحدود.

وفقًا لبعض الروايات كان ذلك اليوم أفضل من المتوقع، حيث اجتمع المتظاهرون على الحدود قبل أن يباشروا في اقتحام السياج مع الجولان ويتدفقوا إلى قرية مجدل شمس ذات الأغلبية الدرزية. بدت إسرائيل أنها أخذت على حين غرة،[50] فقد كانت المسيرة تذكارًا مرئيًا بأن حق العودة لم يتم نسيانه.[51]

ستكون المسيرة الثانية، في يوم النكسة (٥ حزيران ٢٠١١)، مثيرة للجدل أكثر - ودموية. فقد شكك النشطاء في اليرموك بالفعل في نوايا منظمي المسيرة الثانية، وهم الجبهة الشعبية-القيادة العامة وياسر قشلق، الذي كان حينها رجل أعمال غير معروف يقدم نفسه بشكل مريب على أنه قائد شبابي، وقام بتقديم الحافلات لنقل المتظاهرين من اليرموك إلى الجولان.[52] أقام بعض هؤلاء النشطاء اعتصامًا في خيمة بالقرب من جامع الوسيم داخل المخيم للتصويت على مقترح المضي قدمًا بمسيرة ٥ حزيران، ورُفض المقترح بعد التصويت. ولكن وعلى الرغم من ذلك كانت الحافلات جاهزة في الانتظار لنقل المتظاهرين من اليرموك إلى الجولان في ٥ حزيران.

كان الجيش الإسرائيلي يقوم بالاستعدادات في هذه الأثناء، فمن وجهة نظر الإسرائيليين لن تتكررأحداث يوم النكبة مرة أخرى. قام الجيش بتعزيز الأمن عند السياج الحدودي وبنى حاجزًا ترابيًا اصطناعيًا ضخمًا في قاع الوادي الذي عبره المتظاهرين في المرة السابقة للوصول إلى السياج، ووضع الأسلاك الشائكة أسفل الجانب الآخر من السور. لقد كان فخًا مميتًا.

٤٩ - على الرغم من أن وجود مقر فرع فلسطين في دمشق على بعد كيلومترات من اليرموك، إلا أن الفرع أقام مفرزة أمنية في مبنى بلدية المخيم.

٥٠ - مع ذلك، تم إطلاق النار وإصابة العديد من المتظاهرين الفلسطينيين في ذلك اليوم، إلا أن العدد لا يقارن مع الذي سيحدث في المسيرة القادمة.

٥١ - قبل بضعة أيام من المسيرة، قام رامي مخلوف، والذي كان حينها من الدائرة الضيقة في النظام وأحد حيتان المال، بتهديد إسرائيل ضمنيًا خلال مقابلة أجراها مع صحيفة نيوورك تايمز، مفادها أن عدم الاستقرار في سوريا سيعني عدم الاستقرار عبر الحدود. دفعت تلك التصريحات البعض لترجيح فكرة قيام النظام بترتيب المسيرة لبعث رسالة إلى إسرائيل (والمجتمع الدولي).

٥٢ - سيصبح قشلق لاعبًا بارزًا في اليرموك بعد أن تتم عسكرة المخيم في عام ٢٠١٢، ولكن قبل ذلك التاريخ لم يكن سوى رجل أعمال موالٍ للحكومة وغير معروف ولا يملك أي شرعية أو حضور سياسي على الأرض. وفجأةً صعد قشلق إلى الواجه عقب مسيرات الجولان وسيستخدم لاحقًا حركة فلسطين حرة (والتي شكلت بعد الانتفاضة السورية) لتقود مليشيا جديدة باسم قوات درع الأقصى.

مخيم اليرموك

بدأ الإسرائيليون في إطلاق النار مع عودة المتظاهرين إلى المنطقة الحدودية، فحوصر الناس بين السدود الترابية والأسلاك الشائكة ونيران القناصة. قتل على الأقل ٢٠ شابًا برصاص القناصة الإسرائيليين وأصيب مئات آخرون على مدار اليوم.

ألقى العديد من الجهات بما فيها الجبهة الشعبية-القيادة العامة اللوم على إسرائيل، باعتبارها المسؤولة بشكل أساسي عما حصل.

بحسب كفاح دبور، المسؤول في الجبهة الشعبية-القيادة العامة، «قام العدو الصهيوني بكلّ الاستعدادات اللازمة لإلحاق أكبر عدد ممكن من الضحايا.»

لكنّ الناس في المخيم شعروا بأنه قد تم استغلالهم في ذات الوقت. كانت منطقة حدود الجولان محظورة على الفلسطينيين لعقود، لكن وبشكل مفاجئ أصبح بإمكان من يريد من الناس استقلال الحافلة والتجول هناك؟ شعر الكثيرون كما لو أنّ النظام كان يحاول توجيه رسالة إلى إسرائيل، أو محاولة للفت الأنظار عن الاحتجاجات التي بدأت بالفعل تجتاح سوريا. لقد كان الناس غاضبين.

في اليوم التالي أحضرت الجثث إلى اليرموك لدفنها. بحسب الدبور، كان من الواضح أن التوتر كان يتصاعد حتّى قبل الدفن وعندما كانت الجنازات تشق طريقها نحو مقبرة الشهداء في المخيم.

> كان هناك عدد من الهتافات لفلسطين والشهداء خلال موكب الجنازة. ثم لفت هتاف آخر انتباهي. فقد كان أحدهم يهتف: ‹بِدنا نحطوا بِالتابوت لَلبعتنا حتى نموت›

بدأ المتظاهرون الغاضبون بالشجار مع ممثلي الفصائل بعد الانتهاء من عملية الدفن، وبعد ذلك خرج المشيعون الغاضبون من المقبرة باتجاه شارع اليرموك ووصلوا في النهاية إلى مقر الجبهة الشعبية-القيادة العامة في المخيم والذي يعرف باسم «الخالصة.»

تمّت محاصرة المبنى قبل البدء بإلقاء الحجارة واندلاع الاشتباكات. تحرك الناشطون والمتظاهرون لإحراق المبنى بعد قيام أحد مقاتلي الجبهة الشعبية-القيادة العامة بإطلاق النار على المتظاهرين من داخل المبنى، في الوقت الذي كان فيه مسؤولو ومقاتلو الجبهة الشعبية ما يزالون بداخله.

في نهاية الأمر قامت قوات الأمن السوري بإجلاء أعضاء الجبهة الشعبية-القيادة العامة من المبنى، إلّا أنّ الخطوط كانت ترتسم بوضوح، فقد شعر عدد أكبر من الفلسطينيين في اليرموك بالغضب من القيادة العامة لأنّها ظهرت كممثلة عن مصالح النظام في المقام الأول بينما تضع مصالح المخيم في درجة ثانية.

في المقابل اعتبرت القيادة العامة بأن هناك مؤامرة. فبعد وقت قصير ممّا أصبح يُعرف لاحقًا «بأحداث الخالصة،» وصف زعيمها أحمد جبريل المتظاهرين بأنّهم عملاء موتورون «محرضين من قبل المملكة العربية السعودية ورئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس.»[53]

ستبقى هذه الرواية لازمة جبريل طوال الصراع السوري: إن من يعارضون الجبهة الشعبية أو/و الرئيس الأسد هم من المدعومين من حركة فتح «الزعران» في أحسن الأحوال، أو خلاف ذلك فهم من الإرهابيين.

وزعت الجبهة الشعبية في اليوم التالي لأحداث الخالصة كتيبات تحتوي على قائمة تفصيلية بأسماء الأشخاص «المطلوبين» بما في ذلك صورهم ووصفًا للأعمال التحريضية التي من المفترض أنهم قاموا بها.

في أعقاب أحداث الخالصة بدأ الحديث يدور في المخيم حول فكرة تشكيل «اللجان الشعبية،» ولكنها لاقت القليل من التأييد. سيستغرق الأمر شهورًا حتى تصل الانتفاضة، وبعدها الحرب، إلى داخل مخيم اليرموك فعليًا.

‹رئة دمشق›

بين أواخر عام ٢٠١١ وأوائل عام ٢٠١٢، وفي الوقت الذي كانت تزداد فيه وحشية الأجهزة الأمنية أكثر فأكثر، كانت هناك اشارات متزايدة على أن الانتفاضة المناهضة للأسد ستتحول تدريجيًا إلى تمرد مسلح كامل - وربما شيء آخر تمامًا. ففي كانون الأول ٢٠١١ هز انفجاران هائلان مدينة دمشق. كانت مجموعات غير منضبطة من المنشقين العسكريين والشبان الذين يقاتلون تحت مظلة الجيش السوري الحر يشتبكون مع الجيش السوري وقوات الأمن في درعا وحمص ومدن أخرى. في شباط ٢٠١٢ اقتحم الجيش السوري منطقة بابا عمرو في مدينة حمص بشكل عنيف ومدمر.

٥٣ - أ. الحردان (٢٠١٢)، «مصير غير مؤكد للفلسطينيين في سوريا».

شهدت مدينة حمص أولى حالات النزوح الرئيسية للصراع السوري، وبعد ذلك ببضعة أشهر فقط، قدّر الهلال الأحمر العربي السوري المرتبط بالحكومة وجود حوالي ١,٥ مليون نازح في جميع أنحاء البلاد.[٥٤]

ظهرت مجموعات الجيش السوري الحر حول اليرموك وفي العديد من الضواحي الجنوبية لمدينة دمشق، بما في ذلك الحجر الأسود ويلدا والتضامن. ومع تصاعد القمع من قبل المجموعات الموالية للحكومة في عام ٢٠١٢ توجه المزيد والمزيد من النازحين داخليًا إلى اليرموك بحثًا عن الأمان. حيث توجه النازحون من حمص وجنوب دمشق (والريف النائي) إلى اليرموك نظرًا لتاريخه كمأوى للاجئين الفلسطينيين، وكذلك للاجئين الفارين من النزوح اللاحق من العراق في (٢٠٠٣) ولبنان في (٢٠٠٦).[٥٥]

تراوحت التقديرات بين عشرات وحتى مئات الآلاف على الرغم من عدم وجود أرقام رسمية في ذلك الوقت عن عدد النازحين الذين يعيشون في اليرموك. لجأت العائلات النازحة إلى المدارس والمساجد، واستأجرت مساكن، أو أقامت عند عائلات مضيافة في المخيم. تدخلت حركة المجتمع المدني القوية في اليرموك لتقديم المساعدة، حيث قامت المجموعات الناشطة اجتماعيًا بتأهيل كافة المدارس والأندية كملاجئ من خلال تزويدها بالمطابخ وفرق المتطوعين. وبحسب أحد الناشطين الشباب من المخيم: «كان المجتمع المدني الفلسطيني وسكان اليرموك يعملون في العلن في هذه المرحلة.[٥٦]

كان هذا جزءًا من السبب الذي جعل جماعات المعارضة في جنوب دمشق ينظرون إلى اليرموك على أنّه «رئة دمشق».

كان أبو توفيق السوري، وهو بالأصل من مدينة جاسم في ريف درعا الغربي، من بين كبار قادة المعارضين في جنوب دمشق في ذلك الوقت.

قال: «أصبحنا نرى المخيم على أنه رئة للجيش [السوري] الحر، فقد سمح لنا بالتنفس»

> كان الفلسطينيون [داخل المخيم] يقدمون بالفعل أي دعم يمكنهم تقديمه - سواء على مستوى الطعام أو في بعض الأحيان الذخيرة. كان الكثير من الشباب يساعدوننا ويهربون الذخيرة لنا. لقد كان الوضع جيدا.

وأضاف أنه نتيجة لذلك «لم يكن الجيش السوري الحر راغبًا في دخول المخيم.»

أقر أبو همام نضال، وهو شخصية فلسطينية من اليرموك مؤيدة للمعارضة والذي أصبح لاحقًا قائدًا في أكناف بيت المقدس المرتبط بحماس، بأن المخيم في ذلك الوقت «قام بتوفير احتياجات المعارضة الطبية واللوجستية ... [و] تم إنشاء مراكز إيواء أيضًا للعائلات التي هربت من المناطق المجاورة «ووصف دور المخيم على أنه «رئة شاسعة تمكن الجيش [السوري] الحر أن يتنفس من خلالها.»

كما قامت شبكات الناشطين وشبكات المجتمع المدني بالنظر إلى المخيم بالطريقة نفسها: فقد ازدهرت شبكات المجتمع المدني من خلال دعم العائلات النازحة وتوفير الإغاثة الإنسانية وتنظيم المبادرات في جميع أنحاء المخيم. وهكذا شهد جيل جديد من الفلسطينيين انفجارًا في مبادرات المجتمع المدني والنشاط السياسي، وأدى ذلك إلى فصلهم عن جيل آبائهم وأجدادهم.[٥٧]

ولكن في الوقت الذي أصبحت فيه الاحتجاجات أكثر تواترًا - الكثير منها كان ردًا على الأعمال التي قام بها النظام ضد المخيمات - لن يتم التسامح مع تفسير الحياد. فقد أصبحت المظاهرات العفوية تتزايد داخل مخيم اليرموك في الأشهر القليلة الأولى من عام ٢٠١٢,[٥٨] قامت قوات الأمن الحكومية بقمع البعض منها، وغالبًا ما كانت الاحتجاجات كلعبة القط والفأر في الفترة الأولى - احتجاجات خاطفة وسريعة، وإطلاق هتافات على عجل، ومن ثم يهرب الجميع قبل أن تتمكن قوات الأمن من اتخاذ إجراءات صارمة. لكن بحلول شهر أذار ٢٠١٢ نفد صبر الحكومة السورية والفصائل الفلسطينية الموالية لها.

٥٤ - أ. تلتنز (محرر) (٢٠٠٦)، اللاجئون الفلسطينيون في سوريا: رأس مال بشري، مصادر اقتصادية، ظروف المعيشة، فافو ريسيرش فاونديشن،

٥٥ - س. سلامة (٢٠١٦)، «السوريون الغير معترف بهم: تعبئة لاجئو اليرموك الفلسطينيون في الثورة السورية»، ملتقى البحر الأبيض المتوسط، العدد ٩٩، ص.٤٩-٥٠.

٥٦ - المصدر السابق، ص.٥٠.

٥٧ - ستتطور هذه المبادرات مع مرور الزمن للإستجابة للمستجدات في مخيم اليرموك: على سبيل المثال قام النشطاء بإنشاء خط اتصال مباشر مع سكان مخيم اليرموك للإبلاغ عن الانتهاكات التي تقوم بها مجموعات المعارضة مثل لواء الحجر الأسود الذي بدأ بنهب وسرقة ممتلكات السكان أواخر عام ٢٠١٢. وكذلك أطلق النشطاء مبادرات زراعية في محاولة لتجنب مساوئ للحصار بعد منتصف عام ٢٠١٣.

٥٨ - قال البعض أن ذلك يمكن أن يعزى إلى وصول النازحين من المجتمعات السورية التي عانت من وطأة قمع النظام. إلا أن النشطاء الفلسطينيين وشبكات المجتمع المدني قد انخرطت بالفعل في الاحتجاجات وأنشطة أخرى.

أشارت بعض الروايات إلى قيام النظام في ذلك الوقت بتركيز تهديداته على حركة فتح،[٥٩] إلا أن الحركة الاحتجاجية كانت في واقع الأمر أوسع وأعم بكثير، حيث تجاوزت أي خطوط فصائلية أو انتماءات سياسية. لقد أدى قمع النظام، داخل وخارج اليرموك، إلى ولادة قيادة جديدة بين صفوف المتظاهرين، وخاصة بين شباب المخيم.

قام المعارضون بشن أول هجوم كبير لهم في شهر تموز ٢٠١٢: معركة دمشق. كانت فصائل الجيش السوري الحر في الحجر الأسود ويلدا والتضامن متواجدة في المخيم إلا أن إنطلاق الهجوم بدأ من حي التضامن كأحد الجبهتين اللتين استخدمتا لاقتحام العاصمة من الجنوب والتغلغل في الأحياء المركزية لدمشق (مثل حي الميدان). ورد النظام بقصف مدفعي مصدره جبل قاسيون على مناطق الضواحي الجنوبية.

أخيرًا، اتخذت الجبهة الشعبية-القيادة العامة قرار تشكيل اللجان الشعبية وتوزيع الأسلحة على المنضمين الجدد في هذا السياق. بحسب الدبور، أحد كوادر القيادة العامة وكان والده مسؤولاً جزئيًا عن تشكيل اللجان، حيث كان الهدف الرئيس برأيه هو «الحفاظ على ... الحياد.»

> تطلب الموقف اتخاذ إجراءات فورية من قبل الفصائل الفلسطينية في مخيم اليرموك للحفاظ على حياد المخيم وإبقائه خارج النزاع المستمر في المنطقة المحيطة. لذا أصدرت [الجبهة الشعبية-القيادة العامة] تعليمات لتشكيل لجان شعبية فلسطينية لحماية المخيم من أي شخص يحاول جر المخيم وشعبه إلى الأحداث السورية.

دخلت هذه الخطة حيز التنفيذ على الفور لأن الوضع كان يتدهور من يوم لآخر، مما يعني أنه كان من الضروري وضع حد لذلك في أقرب وقت ممكن من خلال تشكيل وتسليح اللجان الشعبية المكونة من أشخاص من مخيم اليرموك - من الفصائل أو من أي جهة تريد حماية المخيم وإبعاده عن الأحداث.

سُجلت الأسماء وبدأ توزيع الأسلحة.

كان هناك تنسيق في البداية بين اللجان الشعبية داخل اليرموك والمعارضين في الخارج، وكانت العلاقات إيجابية بالفعل في بعض الحالات.[٦٠] فقد تمّ نقل الجرحى من جنوب دمشق إلى اليرموك لتلقي العلاج في مستشفيات المخيم، وقامت هذه اللجان بالتنسيق لحل المشاكل بين المناطق التي تسيطر عليها المعارضة واليرموك.

ومع مرور الوقت أصبح من الواضح أنّ بعضًا من هذه اللجان الشعبية أنشئت فقط بهدف دعم النظام. ومع مرور الوقت أيضًا ستقوم هذه اللجان بمعاقبة وحصار وتجويع الجميع داخل المخيم بمن فيهم الحياديين الذين لم يكونوا أصلاً مع أحد.

كان تشكيل اللجان، باعتراف القيادة العامة، عملاً مستعجلاً. واعترف الدبور أنه تمّ تشكيلها في «ظروف عاجلة»:

> لقد ارتكبت الأخطاء - من حيث عدد الأشخاص الذين تم تسليحهم، وحقيقة أن بعضهم كان جيدًا والبعض الآخر سيئًا.
>
> وفي نهاية المطاف حضر معظمهم وقدموا أنفسهم كمدافعين عن المخيم. لم يكن لدى القيادة العامة الوقت الكافي لتفحص كل شخص بالشكل الصحيح.

يتفق الكثيرون على أن إدخال الأسلحة إلى المخيم كان أمرًا مثيرًا للجدل إلى حد كبير، ولكن الأسوأ لم يأت بعد. يبدو أن النظام تمكن من اختراقها لا يقل عن أربع لجان من اللجان الشعبية خلال النصف الثاني من عام ٢٠١٢، والتي أبدت الولاء للمخابرات الجوية والحرس الجمهوري والفرقة الرابعة في الجيش السوري بدلاً من الجبهة الشعبية-القيادة العامة. يقود هذه اللجان المتحالفة مع النظام سعيد محاد وماهر المؤذن ومحمد تميم (المعروف باسم «الطمطم») ومحمد أبو زعل.

كانت أفعالهم كفيلة بصبغ اللجان الشعبية بالسمعة السيئة في جنوب دمشق، مما أثار غضب فصائل المعارضة المسلحة. كانت هذه اللجان بحلول أواخر عام ٢٠١٢، التي يفترض أنها شُكلت للحفاظ على حياد المخيم، تقيم نقاط تفتيش مباشرة بجوار يلدا والحجر الأسود،

٥٩ - لمزيد من المعلومات أنظر: ك. حسين (٢٠١٢)، «مخيم اليرموك في دمشق تحت رقابة النظام السوري - كمال حسين»، ٢٧ آذار ٢٠١٢، كما نشر في صفحة فيسبوك لصحيفة الحياة، دار الحياة. متوفر على الرابط: https://www.facebook.com/note.php?note_id=324727504258310،

٦٠ - على سبيل المثال، سمح اتفاق غير رسمي مع اللجان الشعبية للمقاتلين المعارضين في جنوب دمشق بنقل الجرحى إلى اليرموك لتلقي العلاج، بينما كان بإمكانهم زيارة أسرهم في مراكز الإيواء بشرط عدم دخولهم المخيم مع أسلحتهم.

وتهاجم فصائل المعارضة في ضواحي المنطقة التي تسيطر عليها وتقوم بأعمال عدائية أخرى أيضًا (مثل القبض على العناصرالمصابين من الجيش السوري الحر والذين أدخلوا إلى اليرموك للعلاج، مما أدى إلى تدمير وضع التنسيق السابق).

وفي نفس الوقت أخذت بعض الشخصيات الموالية للحكومة ببيع الأسلحة للمعارضين - وما يزال من غير الواضح ما إذا كان هذا الفعل جزءًا من فساد النظام القديم أو محاولة متعمدة لخلق عدو معتبر في جنوب دمشق لتبرير العمل العسكري في المستقبل. كان سائد عبدالعال، أحد الضباط المسؤولين بشكل رئيسي عن مبيعات الأسلحة هذه، والذي سيستمر في لعب دور حاسم في الهجوم الموالي للحكومة لاستعادة اليرموك في عام ٢٠١٨.[٦١]

أحدثت تصرفات أشخاص مثل المؤذن الكثير من التوترات، بالرغم من إشارة قادة الفصائل إلى أن العديد من اللجان الشعبية كانت في البداية ملتزمة في حماية مخيم اليرموك أو لم يكن هناك أي احتكاك معها. بدأ السوريون المؤيدون للمعارضة ينظرون إلى اللجان - وبالتالي إلى الفلسطينيين في اليرموك - على أنهم مثيرين للشغب ومؤيدين للنظام وضدّ ثورتهم.

قال أبو همام نضال من فصيل أكناف بيت المقدس التابع لحماس: «كان هناك أشخاص سيئين [في اللجان] ... وكذلك بعض الأشخاص الجيدين الذين كانوا يتعاملون بشكل وثيق مع الجيش [السوري] الحر من حيث تقديم المساعدة وعلاج الجرحى، [إلا أن] الانطباع العام عن اللجان أنّها كانت سيئة.»

تفاقم الوضع بحلول شهر رمضان عام ٢٠١٢، حيث بدأت القوات الموالية للحكومة في قصف المناطق في أطراف المخيم بقذائف الهاون - ووقعت الحادثة الأكثر شهرة في الثاني من شهر آب عندما سقطت قذيفتي هاون على شارع الجاعونة والتي قتلت العشرات.[٦٢] قالت أم ابراهيم، وهي من سكان شارع الجاعونة في اليرموك وكانت مع ابنتها في الشارع تشتري الطعام استعدادًا لإفطار رمضان: «كانت تلك المرة الأولى التي يحدث فيها قصف، ولكن بعد ذلك، كان هناك اشتباكات بين الشباب والجيش كل يوم: اشتباكات وقصف وأشخاص يفرون وآخرون يموتون.»

تحمل الفلسطينيون القاطنون في المنطقة الشرقية لليرموك مقابل حي التضامن العبء الأكبر. فقد أصبح الطريق الفاصل بين الحيين، شارع فلسطين، خط مواجهة ساخن قبل بقية مناطق المخيم الأخرى بوقت طويل. غالبًا ما كان انقطاع التيار الكهربائي في الليل علامة على أن الاشتباكات على وشك أن تبدأ، حيث كان القناصة يطلقون النار على العائلات الفلسطينية المتواجدة على أسطح منازلهم أو على الرجال الذين يمشون في الشوارع. أصبح إطلاق قذائف الهاون أكثر تواترًا. كانت الحرب قد وصلت إلى شارع فلسطين ومع حلول فصل الشتاء بدا وكأن المخيم بدأ في التفكك بالفعل. حيث كانت أعداد صغيرة من اللاجئين الفلسطينيين تهرب من اليرموك، إما تنتقل إلى مناطق أكثر أمانًا في العاصمة أو تتوجه إلى لبنان وتركيا بدلاً من ذلك.

كانت فصائل المعارضة مستمرة في التقدم في تلك الأثناء، وفي مطلع تشرين الثاني ٢٠١٢، اشتبكوا مع وحدات الجيش السوري في يلدا والتضامن، واستولوا على نقطة تفتيش مهمة بجوار جامع أمهات المؤمنين، كانت تفصل بين المنطقتين. حتى الآن، كان الجيش السوري الحر على بعد بضع مئات الأمتار من مدخل اليرموك فقط. ولكن وفي نفس الوقت صعدت اللجان الشعبية المتحالفة مع النظام عملياتها العدائية ضدّ فصائل المعارضة، فقد تعرض مقاتلو الجيش السوري الحر وعائلاتهم داخل اليرموك للمضايقة، بل وتم اعتقالهم. بدأ الطرفان في الاشتباك بشكل منتظم على مشارف المخيم، فيما أقامت اللجان الشعبية نقاط تفتيش في محيطه.

ومع اشتداد الاشتباكات كان مقاتلو اللجان الشعبية ينسحبون ويعيدون الانتشار وينسحبون ويعيدون الانتشار، إلى أن وصلوا لحدود المخيم بالفعل، ورأى البعض أن ذلك كان فخًا.

٦١ - سائد عبدالعال، مثل ياسر قشلق، إسم آخر يرتفع ويصعد مع استمرار الصراع. أصبح عبدالعال، وهو الإبن الأكبر لعضو في القيادة القطرية لحزب البعث، قائدًا لمليشيا قوات درع الأقصى، الجناح العسكري لحركة فلسطين حرة، وشارك بشكل بارز في الهجوم الموالي للحكومة ضد تنظيم الدولة الإسلامية في ٢٠١٨.

٦٢ - ديلي تيليغراف (٢٠١٢)، «سوريا: تعرض مخيم اللاجئين للقصف بالقرب من دمشق»، ٣ آب ٢٠١٢. متوفر على الرابط: ‹https://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/middleeast/syria/9448635/Syria-refugee-camp-shelled-near-Damascus.html›

بحسب قائد الفصائل المعارضة أبو توفيق السوري:

> كانت هناك محاولات لإغراءنا لدخول المخيم. فقد كانت التحركات الميدانية في المعارك في ذلك الوقت [من قبل اللجان الشعبية] مبنية على الاشتباك المحدود متبوعة بالانسحابات. كان الأمر بمثابة شكل من أشكال التحريض لجرنا نحو المخيم والدخول إليه.

تذكر كيف كان رجال المؤذن والطمطم يستخدمون المشفى الياباني، في جنوب شرق اليرموك، «للقنص داخل مناطق يلدا.»[٦٣]

أضاف السوري «جلسنا بعد ذلك وطلبنا من الفصائل أن تكبح [هؤلاء الرجال]، جلسنا معهم عدة مرات.»

شعر المعارضون أن شيئًا لن يحدث لكبح أشخاص مثل المؤذن واعتبروا أنّه ومجموعته، وبالتالي اليرموك أيضًا، أصبح هدفًا مشروعًا.

هاجم مقاتلو المعارضة في شهر كانون الأول ٢٠١٢ مقر المؤذن ولكنه كان محظوظًا فقد نجى بحياته.

تم ترتيب اجتماع طارئ بين ممثلي الفصائل الفلسطينية وقادة الفصائل المعارضة. وبحسب القائد السوري المعارض أبو بكر زيد والذي قاد الهجوم على حاجز أم المؤمنين:

> أدركت الفصائل الفلسطينية أننا على وشك دخول المخيم بالفعل ولذلك بدأت المفاوضات بهدف إبعادنا عن المخيم واحترام حياديته. فبدأوا في إرسال الشخصيات التي ستنخرط في المحادثات.

تحدث كيف اجتمعت الفصائل في أحد هذه اللقاءات «لمناقشة الأمر، وللسؤال عما نريد في المقابل [لعدم دخول اليرموك].»

وبحسب أبو توفيق السوري، كان رد فصائل المعارضة المطالبة بحل جميع التشكيلات العسكرية داخل اللجان الشعبية والتي كانت تخضع مباشرة لأمرة النظام.

كان ذلك الاجتماع الأخير.

‹يوم الميغ›

كان ذلك في وقت مبكر من بعد ظهر يوم ١٦ كانون الأول ٢٠١٢ عندما دوى صوت طائرة الميغ فجأةً في سماء اليرموك، ليتبعه صوت قرقعة الصواريخ وهي تضرب الأرض.

استهدفت صواريخ طائرة الميغ مسجدًا ومدرسة وأدى ذلك إلى مقتل عشرات المدنيين. زعم الدبور من الجبهة الشعبية - القيادة العامة أن الطائرات السورية استهدفت في ذلك الوقت اجتماعًا في غرفة عمليات فصائل المعارضة في مسجد عبد القادر الحسيني - وهو ادعاء أنكره العديد من شهود العيان، بمن فيهم ناشط شاب كان من بين أوائل الذين حضروا إلى مكان الحادث - كانت هجمات ١٦ كانون الأول غارات متعمدة على مواقع في المخيم تُعرف من قبل الجميع بأنها ملاجئ للنازحين السوريين القادمين من ضواحي جنوب دمشق.

كان للعديد من قادة فصائل المعارضة في الحجر الأسود عائلات داخل تلك الملاجئ، أو كانوا يعرفون أشخاصًا لديهم عائلات هناك. وبعد كل شيء وكما قال أحد القادة «كانت القيمة الحقيقية للمخيم أنه يؤوي عائلاتنا.» وبالتالي يعتقد البعض أن غارات الميغ كانت تهدف إلى إثارة غضب فصائل المعارضة لدفعهم إلى اليرموك.

في نفس الوقت، أصبحت اللجان الشعبية المتحالفة مع النظام تشكل مشكلة خطيرة بالنسبة لفصائل المعارضة في الحجر الأسود ويلدا والتضامن، حتى قبل غارة الميغ التي أعلنت عن دخول الجيش الحر إلى اليرموك في خضم الصراع (بعد أشهر من الاشتباكات المتقطعة والقصف والانفجارات على أطراف المخيم). أصبح اليرموك بعد منتصف شهر كانون الأول ساحة حرب.

أوضح أبو توفيق السوري، أحد قادة الفصائل، السبب حيث قال: «في نهاية المطاف فشل اجتماعنا الأخير مع الممثلين عن المخيم - بما في ذلك بعض ممثلي الفصائل الفلسطينية - للتوصل إلى حل بشأن كبح وتحجيم اللجان الشعبية، فتمّ اتخاذ القرار لدخول المخيم.»

كانت هناك مخاطر - فبغض النظر عن كل شيء، كان المخيم «رئة» العصيان في الضواحي الجنوبية.

> تنامى شعور لدينا أنه في حال دخولنا إلى المخيم، فسوف نفقد هذه الرئة التي سمحت لنا بالتنفس من خلالها، وسنفقد الإمكانيات التي كان يوفرها لنا.

٦٣ - المشفى الياباني منشأة صحية تابعة لمنظمة الأنروا وكان في ذلك الوقت قيد الإنشاء، وتم بناءه بتمويل من السفارة اليابانية في دمشق. لم يكن المبنى قد اكتمل عند قيام المقاتلين بالسيطرة عليه، وقد تعرض لضرر كبير نتيجة القصف الجوي أثناء الهجوم الذي قامت به القوات الموالية للحكومة في ٢٠١٨ لاستعادة السيطرة على المخيم.

أخيرًا تحرك مقاتلو فصائل المعارضة باتجاه المخيم في ١٧ كانون الأول ٢٠١٢، إلا أنّ المخيم سقط دون أي قتال يذكر على الرغم من كل الاستعدادات والمداولات. وأصبحت معظم مناطق المخيم تحت سيطرة المعارضة في غضون ٢٤ ساعة. في الواقع سقط اليرموك دون أي قتال تقريبًا من الجانب المؤيد للحكومة، الأمر الذي بدا غريبًا لعدة أسباب: ومنها على سبيل المثال حجم الجهود التي بذلها النظام والجبهة الشعبية-القيادة العامة لحماية المخيم، وناهيك عن حقيقة أن اليرموك كان على أعتاب مدينة دمشق.

على أقل تقدير، يبدو أن الجبهة الشعبية-القيادة العامة واللجان الشعبية نفذتا انسحابًا تكتيكيًا من مواقع الخطوط الأمامية في اليرموك، لكن ما يزال قادة المعارضة يعتقدون أنهم تعرضوا للخداع وتمّ استدراجهم تدريجيًا نحو اليرموك على مدار عام ٢٠١٢ وفي النهاية تمّ تشجيعهم على الدخول.

ترجح بعض مصادر المعارضة أنّ هذا ما حدث بالفعل بسبب تدهور أوضاعهم وأن سوء الطالع حلّ بهم بعد ذلك، فقد تفشت الفصائلية وبدأت عمليات الاغتيال الغامضة التي لم يتبناها أحد تستهدف أطرافًا مختلفة، لقد أصبح المخيم بحلول منتصف عام ٢٠١٣ محاصرًا بالكامل من قبل الجيش السوري والجبهة الشعبية-القيادة العامة وقوات الدفاع الوطني. بالنظر إلى تلك التجربة، ولو بعد فوات الأوان، أحسّ قادة المعارضة بالندم على خسارة اليرموك، لأنه كان رئتهم ومتنفسهم.

أشارت روايات المقاتلين الذين اقتحموا المخيم، في الوقت عينه، إلى نوع من الانسحاب التكتيكي: كانت الجبهة الشعبية - القيادة العامة قوة متفوقة وأفضل تدريبًا من الألف أو أكثر من مقاتلي المعارضة في جنوب دمشق، إلّا أنها بالكاد اشتبكت معهم؛ في حين كان هناك القليل من المقاومة بشكل ملفت للنظر من قبل اللجان الشعبية والتي شكلت بالأساس لهذه الغاية، ناهيك عن الجيش السوري أو وحدات الجبهة الشعبية-القيادة العامة المتمركزة داخل وحول المخيم.

العديد من الشخصيات داخل الجبهة الشعبية-القيادة العامة، مثل راتب النمر ومحمود أبو زيد وأبو سمرة أبو زيد وآخرين ساعدوا بشكل مباشر على إدخال فصائل المعارضة إلى المخيم.[٦٤]

بحسب أبو توفيق السوري:

> اتضح لنا فيما بعد أن النظام كان يستعد بالفعل لهذا الاحتمال، وأن لديه الكثير من الأدوات تحت تصرفه - بما في ذلك بيان عمر [مزعل] ومحمود أبو زيد. كان هناك بالفعل ترتيب لإفساد الوضع.

قد تبدو استنتاجات أبو توفيق السوري الآن ساذجة إلى حد ما، ولكن يمكن اعتبارها بمثابة إعادة قراءة للآمال الكبيرة التي عقدتها قوى المعارضة على حركة عصيانها المناهضة للأسد في ذلك الوقت. قال: «كان قرارنا بدخول المخيم ردًا على الأحداث في ذلك الوقت وكرد فعل على تصرفات بعض العناصر داخل اللجان الشعبية، وتخيلنا أن المخيم سيكون بوابتنا للوصول إلى عمق دمشق.»

(أرض الجهاد)

كان لواء الحجر الأسود من أوائل فصائل المعارضة التي دخلت إلى مخيم اليرموك، وهو فصيل من جنوب دمشق يقوده كل من أبو عدي وبيان مزعل.

بحسب قائد لواء أكناف بيت المقدس أبو همام نضال «لقد عاث مقاتلو لواء الحجر الأسود فسادًا وخرابًا في المخيم، فقاموا بنهب وتخريب المنازل ومضايقة السكان الفلسطينيين الذين لم يغادروا بيوتهم، وكما قاموا بإطلاق قذائف الهاون من مناطق يقطنها المدنيون.»

تؤكد مصادر المعارضة أنّ الأمر لم يقتصر على البلطجة فقط، بل أن كلاً من أبو عدي ومزعل كانا على اتصال مسبق مع الأجهزة الأمنية للنظام السوري، وأنهما كانا فعلاً عملاء للنظام داخل هيكل قيادة لواء الحجر الأسود.[٦٥]

بدأت التصدعات في الظهور، فمن ناحية، كان الفلسطينيون في اليرموك غاضبين وخائفين وسرعان ما انتشرت رواية مفادها أنّ المعارضة فاسدة وهي التي تقوم

٦٤ - قُتل النمر خلال اقتحام قوات المعارضة لمبنى الخالصة في ١٨ كانون الأول ٢٠١٢. بقي محمود أبو سمرة داخل اليرموك وتولى خلال تلك الفترة قيادة فصيل المنشقين عن الجبهة الشعبية - القيادة العامة لغاية عام ٢٠١٤، حيث عاد للانضمام لصفوف الجبهة الشعبية - القيادة العامة. وفي تلك الأثناء، غادر أبو سمرة أبو زيد المخيم مباشرة بعد دخول فصائل المعارضة إلى اليرموك وقامت السطات السورية باعتقاله. يعتقد أبو بكر زيد، وهو أحد قادة الفصائل، أن الحادثين يعكسان «محاولة إخفاء شيء ما متعلق بسهولة دخول الجيش [السوري] الحر إلى المخيم والسيطرة عليه».

٦٥ - طرد بعد ذلك لواء الحجر الأسود من مخيم اليرموك من قبل تحالف من الفصائل الإسلامية، وتوجه بعدها إلى بلدة السبينة بريف دمشق. بحسب الروايات قام مزعل بتسليم خرائط مواقع المعارضة إلى الجيش السوري الذي استعاد البلدة على مشارف دمشق في شهر تشرين الثاني ٢٠١٣. عاد أبو عدي إلى عمله السابق في فرع المنطقة التابع للأمن العسكري في ريف دمشق (الفرع ٢٢٧)، لغاية اعتقاله من قبل المخابرات الجوية في ٢٠١٩ لأسباب مجهولة.

بأعمال السرقة، كذلك بدأت الانقسامات بين التجمعات الفلسطينية والتجمعات النازحة المؤيدة للمعارضة في الحجر الأسود تطفو على السطح. تحركت الفصائل الإسلامية لإيقاف لواء الحجر الأسود واعتقال قادته، إلّا أنّ ذلك أدّى إلى المزيد من الضغينة، وقد أطلق سراح قادة اللواء بعد تدخل وجهاء عشائر الحجر الأسود. كانت هناك فصائل معارضة أخرى غاضبة من لواء الحجر الأسود.

سرعان ما أصبح الاقتتال الداخلي بين الفصائل سمة للحياة في ظل حكم فصائل المعارضة، ووقعت اشتباكات داخل المخيم. بدأ مقاتلون من الفصيل الإسلامي المتشدد جبهة النصرة بالدخول إلى المخيم.

فرض الجيش السوري والجبهة الشعبية-القيادة العامة (المتمركزة عند المدخل الشمالي للمخيم في دوار البطيخة) قيودًا على الدخول والخروج من المخيم ابتداءً من عام ٢٠١٣، فخضع مخيم اليرموك لحصار جزئي تحول لحصار مطبق تمامًا في شهر تموز من ذات السنة حين منع النظام الدخول والخروج من المخيم كلياً.

من بين الحصارات الأولى التي شهدها الصراع السوري، سيكون حصار اليرموك أكثرها دمارًا، فقد جاع المئات حتى الموت داخل الحدود الادارية للعاصمة السورية.

إلا أن هذا التاريخ ما يزال موضع جدل. قام الدبور التابع للجبهة الشعبية-القيادة العامة بإلقاء اللوم مرارًا عمّا حدث للمخيم على «أولئك الذين اعتبروا اليرموك ‹أرضًا للجهاد›» – فهم من يتحمل مسؤولية انهياره واستيلاء فصائل المعارضة عليه، والحصار، فضلاً عن فشل المحاولات للتوصل إلى وقف لإطلاق النار بين الأطراف المتحاربة. من المهم هنا البحث في وجهة النظر هذه لأنها ستغدو ذات صلة في اللحظة التي ستسيطر فيها الدولة الإسلامية في العراق وسوريا (داعش) على اليرموك في نيسان ٢٠١٥. ظهرت وجهة النظر هذه مرة أخرى، أقوى من أي وقت مضى، بعد بداية هجوم القوات الموالية للحكومة عام ٢٠١٨ ضد الإسلاميين المتشددين وجيوب المعارضة في جنوب دمشق.

بدأت حسابات وسائل التواصل الاجتماعي الموالية للحكومة في تصوير داعش على أنّها الطرف المسؤول بشكل رئيسي عن مأساة اليرموك - بما في ذلك الحصار- على الرغم من أن داعش سيطرت على المخيم في شهر نيسان ٢٠١٥ فقط.

في النهاية، استولت القوة الفلسطينية السورية المشتركة، (والمكونة من وحدات الجيش السوري وفصائل موالية من الحرس القديم مثل الجبهة الشعبية-القيادة العامة وفتح الانتفاضة إضافة لحركة فلسطين حرة وميليشيات الدفاع الوطني التي شكلتها إيران) على المخيم في شهر أيار ٢٠١٨، بدعم جوي روسي والذي لعب دورًا كبيرًا في إدارة العمليات والقيام بغارات جوية أثناء الهجوم.

وفقًا للدبور:

> أدخلت الجبهة الشعبية-القيادة العامة كميات كبيرة من إمدادات الإغاثة، سرًا وعلانية، خلال فترة الاغلاق. كانت كل الأطراف المعنية على علم بذلك، ولم نتمكن في كثير من الحالات من الوصول فعليًا إلى المدنيين داخل المخيم بسبب انتشار المسلحين من الحجر الأسود على مشارف المخيم.[٦٦]

ما لم يذكره هو أن الجبهة الشعبية-القيادة العامة شاركت بشكل مباشر في الحصار وقتلت آخرين كثر بالرصاص كانوا يحاولون جلب الإمدادات إلى المخيم. ولعل أحد أكثر الأمثلة شهرة التي حدثت في ١١ كانون الثاني ٢٠١٣، عندما قُتل غسان الشهابي مؤسس دار الشجرة للنشر في اليرموك، عند نقطة تفتيش تابعة للجبهة الشعبية-القيادة العامة أثناء محاولته نقل الخبز إلى المخيم.[٦٧]

اتسع تصوير الدبور لمقاتلي الجبهة الشعبية-القيادة العامة كمدافعين عن اليرموك مع وصول جبهة النصرة بعد عام ٢٠١٣ ومن ثم مقاتلي الدولة الإسلامية (داعش) في نيسان ٢٠١٥ - وهو التاريخ الذي استولت فيه الجماعة المتشددة على معظم أحياء اليرموك تقريبًا بمساعدة جبهة النصرة. جلس الصحفيون الأجانب المسموح لهم بتغطية الأحداث على الخطوط الأمامية مع قدامى المحاربين والمقاتلين الشباب من الجبهة الشعبية-القيادة العامة والذين كانوا على ثقة من أنهم سيدحرون الجهاديين يومًا ما.[٦٨] لكن هذا ليس سوى تبسيطًا للوضع المعقد الواضح على الأرض في اليرموك بعد عسكرته بين عامي ٢٠١٢ و٢٠١٣.

٦٦ - لاحظ أن الدبور يستخدم كلمة (إغلاق) بدلاً من كلمة (حصار).

٦٧ - س. ناصر (٢٠١٣)، «إلى فالنتاين: الموت لن يفرقنا»، أمنيستي إنترناشيونال، ١٤ شباط ٢٠١٣. متوفر على الرابط: ‹https://www.amnesty.org/en/latest/campaigns/٢٠١٣/٠٢/to-my-valentine-death-will-not-part-us/›.

٦٨ - أنظر على سبيل المثال: ن. سماحة (٢٠١٥)، «المدافعون عن اليرموك»، فورين بوليسي، ٤ أيار ٢٠١٥. متوفر على الرابط: ‹https://foreignpolicy.com/2015/05/04/inside-the-ruins-of-yarmouk-refugee-camp-syria›.

لم تكن الجبهة الشعبية-القيادة العامة هي الفصيل الوحيد الموالي للحكومة التي تدير الخطوط الأمامية بعد بداية الحصار. فقد قُسمت خطوط الحصار بين مختلف الفصائل - قامت الجبهة الشعبية-القيادة العامة بحراسة الضواحي الشمالية للمخيم من خلال قاعدتها الرئيسية في ساحة البطيخة؛ وقامت فصائل صغيرة مثل الصاعقة بشغل مواقع على المحور الشرقي للمخيم. لكن ستتولى ميليشيات فتح الانتفاضة وميليشيات سائد عبدالعال التابعة لحركة فلسطين حرة أدوارًا أكثر أهمية حول المخيم بعد عام ٢٠١٥. كما تواجد المدربين والمستشارين العسكريين التابعين لحزب الله في الجهة الجنوبية، وقيل أنهم قاموا بتدريب المقاتلين الفلسطينيين التابعين لفتح الانتفاضة.[٦٩]

بالعودة إلى داخل اليرموك، كانت الجماعات الإسلامية تكتسب القوة، وبحلول أوائل عام ٢٠١٣ انبثق فصيل أكناف بيت المقدس من بين عدة فصائل صغيرة أخرى. على الرغم من أن الجماعة نفت دائما صلتها بحركة حماس، تماما مثلما نفت حماس صلتها بالأكناف، لكن في الحقيقة ومن المتفق عليه بشكل عام أن القادة والمقاتلين الذين انضموا إلى الأكناف كانوا من «جماعة حماس.»[٧٠]

بدأ الأكناف وخلايا مقاتلي جبهة النصرة بالاستفادة من رغبة سكان المخيم في سلطة يمكن أن تتدخل وتوقف الممارسات الفاسدة لفصائل الجيش السوري الحر مثل لواء الحجر الأسود. وكما كان الحال في أي مكان آخر في سوريا في ذلك الوقت، جاءت الفصائل الإسلامية على رأس القائمة لعدة أسباب: ممارسات بعض فصائل الجيش السوري الحر الفاسدة أو التشبيحية والخطاب والأيديولوجي الذي قدمته الفصائل الإسلامية وسمعتهم في أرض المعركة كمحاربين أشداء ضد القوات الموالية للأسد. النظام. إضافة لذلك ساعدت موجة من الاغتيالات بين الأفرقاء، والتي لم يتبناها أحد، في قمع أي ثغرة لإمكانية الانشقاق.

تمكن الإسلاميون في نهاية المطاف من بسط سيطرتهم الكاملة على اليرموك من خلال تشكيل الرابطة الإسلامية وتجميع مختلف الفصائل المتواجدة في جنوب دمشق: جبهة النصرة، أكناف بيت المقدس، جيش الإسلام، أحرارالشام وشام الرسول والدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، وفي تلك الأثناء لم ينضم جيش الأبابيل والعهدة العمرية. ثم قامت الرابطة بعد تشكيلها بطرد لواء الحجر الأسود الذي توجه إلى بلدة السبينة بريف دمشق.

‹دولة إسلامية› في اليرموك

في الأول من شهر نيسان ٢٠١٥، انتقل مقاتلو داعش إلى مواقعهم استعدادًا لاقتحام اليرموك، بالكاد وفي غضون ٢٤ ساعة أصبح المخيم في قبضتهم.

من الممكن أنّ سقوط اليرموك بيد داعش قد شكّل مفاجأة للبعض في المخيم.[٧١] إلّا أنّ المقاتلين المرتبطين بداعش تواجدوا في جنوب دمشق منذ انشقاقهم عن جبهة النصرة في شهر نيسان ٢٠١٣، بالإضافة أنّ هذا التنظيم المتشدد الذي جاء معظم قياداته من بلدة يلدا المجاورة، حاول قبلاً الاستيلاء على جنوب دمشق. تحول اليرموك إلى ساحة اشتباكات بين مختلف الأطراف خاصة بعد تنامي الخلافات بين تنظيم داعش وجيش الإسلام في يلدا وبين تنظيم داعش من جهة وأجناد الشام وأكناف بيت المقدس من جهة أخرى. حاول تنظيم داعش الهيمنة على جيش الإسلام، الذي كان يسيطر على يلدا، من خلال اعتقال بعض قادته ومحاولاً تدميره بالكامل.

لكن كلّ محاولات التنظيم فشلت، فقد توحدّت كافة الفصائل المعارضة في جنوب دمشق ضدّ داعش، وتمّ طردها من بلدة يلدا إلى جيب صغير في الحجر الأسود، حيث حوصر ما تبقى من الجماعة المتطرفة في ذلك المكان وسمح لهم بادخال الطعام فقط، واستمر حصار تلك المجموعة لمدة سبعة أشهر.

شعرت فصائل المعارضة بالرضى عن الموقف في نهاية المطاف، وبدأت المجموعات المختلفة التي تشغل مواقع المواجهة مع جيب داعش المحاصر في الانسحاب وتركيز

٦٩ - س. أندرسن (٢٠١٧)، «حرب الشرق الأوسط المقبلة؟ من الممكن أن يخاطر حزب الله بكل شيء في حرب شاملة مع إسرائيل»، نيوزويك، ١٣ تموز ٢٠١٧. متوفر على الرابط:‹https://www.newsweek.com/2017/07/14/middle-east-war-hezbollah-israel-syria-630990.html›.

٧٠ - مثال على ذلك، عمل قائد الأكناف أبو أحمد المشير سابقًا في طاقم المرافقة لزعيم حركة حماس خالد مشعل، الرئيس السابق للمكتب السياسي للحركة الإسلامية. كما قام أبو همام نضال في السابق بدور مماثل داخل حماس. شبكة شام (٢٠١٥)، «قائد أكناف بيت المقدس: لم تنسحب داعش من جنوب دمشق والمعارك مستمرة»، ١٤ نيسان ٢٠١٥، متوفر على الرابط:http://www.shaam.org/news/syria-news/قائد-اكناف-بيت-المقدس-تنظيم-الدولة-لم-ينسحب-من-جنوب-دمشق-والمعارك-ما-زالت-مستمرة.htm. تستخدم كلمة «داعش» للإشارة إلى «تنظم الدولة الإسلامية في العراق والشام» وهو اختصار من الأحرف الأولى لاسم هذا التنظيم. يتم استخدام كل من الأسماء بالتبادل في النص التالي.

٧١ - أنظر الفصل التالي لدراسة كاملة عن لواء القدس ودوره في مخيمات حلب الفلسطينية.

امكانياتهم في مكان آخر، في الوقت الذي فشلت فيه بالقضاء على داعش مرة وإلى الأبد، وكان فصيل أكناف بيت المقدس أحدهم - وكان أحد تلك الأسباب هو المخاوف في ذلك الوقت من قيام التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية لمحاربة تنظيم داعش في سوريا والعراق باستهداف جنوب دمشق والدفع برد أوسع ضد الفصائل المتواجدة هناك. ولكن البعض يعزو ذلك إلى رضى الفصائل عما حصل.

قال أبو همام نضال، وهو قائد في الفصيل الموالي لحركة حماس: «استمر بعض قادتنا في الإصرار على أنه لم يكن هناك أي فرصة لداعش في [الاستيلاء على المخيم]، وهذا يعني أننا لم نتجهز لسيناريو عودة داعش في اتجاهنا.» ألقى باللوم على ما حدث بعد ذلك «بالتساهل» و «خيانة النصرة»كذلك.

قامت جبهة النصرة في الأيام التي سبقت شهر نيسان ٢٠١٥ بتسهيل حركة مقاتلي داعش من الجيب الذي كانت تحاصره فصائل المعارضة - حيث كانوا محاصرين لعدة أشهر - نحو الخارج حتى يتمكنوا من الانتشار داخل منطقة اليرموك وجنوب دمشق المحاصرتين من قبل النظام. اتخذ مقاتلو تنظيم الدولة الإسلامية مواقعهم على أطراف اليرموك الغربية والجنوبية والشرقية، عبر الحجر الأسود وحي الزين، مستعدين للتحرك في ما تبقى من اليرموك الذي تسيطر عليه فصائل المعارضة، كذلك كانت خلايا داعش النائمة موجودة داخل المخيم نفسه.

جاء الهجوم أخيرًا في ١ نيسان ٢٠١٥، حيث استمر تنظيم داعش باغتيال النشطاء وشخصيات من المجتمع المدني والعاملين في المجال الإنساني، كجزء من موجة من عمليات القتل التي سبقت الهجوم. دفع القتال الذي أعقبه قمع داعش عدة آلاف من المدنيين إلى النزوح لبلدة يلدا المجاورة، حيث بقي بالكاد ستة آلاف شخص في اليرموك، بينما قصف النظام اليرموك من الجو في الوقت نفسه - بما في ذلك بالبراميل المتفجرة- في هذا الوقت زعمت مصادر مؤيدة للحكومة وحتّى شخصيات من منظمة التحرير الفلسطينية مثل أحمد المجدلاني، أنّ اليرموك كان خالٍ من السكان وعلى النظام أن يقاتل المتشددين داخل المخيم.

حوصر ١٥٠ مقاتلاً وهم من تبقى من مقاتلي أكناف بيت المقدس المرتبطين بحماس- بمن فيهم أبو همام نضال نفسه–وفي النهاية اضطروا لإرسال رسالة لداعش يطلبون منهم السماح لهم بالانتقال بشكل آمن نحو بلدة ببيلا القريبة، لكن قوبل طلبهم بالرفض، ومن ثمّ بدأ تنظيم الدولة الإسلامية بقطع رؤوس الأسرى.

بدأ أبو همام نضال اتصالاته مع شخصيتين لهما علاقات معروفة مع المخابرات السورية، على أمل أن يتوسطا لخروجهم عبر المناطق التي يسيطر عليها النظام.

> كنت أتواصل مع الشيخ محمد عليان وأبو خالد عدنان إبراهيم (أمين سر حركة فتح في سوريا)، وكنت الشخص الذي يتواصل معهم بحكم موقعي داخل فصيل الأكناف.
>
> اتصلت بأبو خالد عدنان ... [ثم] اتصلت بالشيخ محمد عليان وأخبرته أن المخيم سقط في يد داعش، باستثناء المنطقة التي كنا فيها. وطلبت أن يمنحنا [النظام] الأمان.
>
> أعاد [الشيخ] الاتصال بعد فترة وقال بأن الوضع سيكون آمنًا لي ولجميع الشباب الذين كانوا معنا. لقد منحَنا النظام الأمان وهكذا تمكّنا من الخروج من دائرة الخطر.

لم تكن الاتصالات تحدث على أرض الميدان فقط، فبحسب أبو همام نضال، قام الزّعيم السياسي لحركة حماس خالد مشعل بالاتصال مع أحمد جبريل زعيم الجبهة الشعبية-القيادة العامة وطلب أن يقوم الفصيل الموالي لسوريا بتقديم المساعدة «لرجاله»المحاصرين في المخيم.

سُمح أخيرًا لمقاتلي الأكناف بالمغادرة عبر شمال اليرموك الذي كان خاضعًا لسيطرة الحكومة، ورحلوا إلى بلدة ببيلا التي تسيطر عليها فصائل المعارضة.

إلا أنّ الحظ لم يحالف الآخرين، فقد بقي حوالي ستة آلاف مدني في المخيم ليعيشوا تحت حكم داعش، حيث بدأت المجموعة المتشددة بسرعة في تطبيق تفسيرها المتطرف لقانون الشريعة - فاضطرت النساء إلى اتباع إرشادات صارمة للحجاب والملابس، وأُعدم وجُلد «الجواسيس» المشتبه بهم و«المرتدين» علنًا، وراحت قوات الحسبة (شرطة الأخلاق) التابعة للمجموعة تجوب أسواق المخيم بحثًا عن سلع مهربة مثل السجائر، كما قامت الخلايا النائمة الموالية لتنظيم داعش بتنفيذ عمليات أمنية ومن ضمنها اغتيالات وتفجيرات داخل

المناطق المحاصرة في جنوب دمشق والخارجة عن سيطرتها مثل يلدا وببيلا وبيت سحم. كما أعلن تنظيم داعش مسؤوليته عن تفجير داخل منطقة خاضعة لسيطرة الحكومة في مدينة دمشق.

«الهجوم الأخير»

بحلول ربيع ٢٠١٨ كانت ساحة البطيخة، تتحول بسرعة إلى مسرح لأطياف الميليشيات الموالية للحكومة قاطبةً بسياساتها المتعددة، حيث أصبحت هذه الساحة في الأسابيع التي أعقبت هجوم الغوطة نقطة التجمع لقوة فلسطينية/سورية مشتركة موالية للحكومة، وتهدف إلى استعادة اليرموك من داعش وجبهة النصرة (التي تحولت تسميتها إلى هيئة تحرير الشام)، فقد توجهت القوات الجديدة المؤيدة للحكومة - بما في ذلك لواء القدس - مباشرة من الغوطة إلى جنوب دمشق.[٧٢]

وفي النهاية تشكلت القوة المشتركة على مدخل مخيم اليرموك من وحدات الجيش السوري وحزب الله اللبناني مع الفصائل الفلسطينية من الحرس القديم كالجبهة الشعبية-القيادة العامة وفتح الانتفاضة إضافة لميليشيات قوات الدفاع الوطني ومقاتلي لواء القدس ومعهم الجناح العسكري لحركة فلسطين حرة بقيادة سائد عبدالعال.

بعد أيامٍ من الحديث بأنّ داعش كانت تتفاوض مع الحكومة السورية للإخلاء إلى منطقة البادية الصحراوية، تردد أنّ المفاوضات قد تعثرت، فأخذت القوات الموالية للحكومة بعد ذلك مباشرة بنشر القوات وبدأت الدبابات بالتحرك في وقت متأخر بعد ظهر يوم ١٩ نيسان ٢٠١٨.

قامت القوات المشتركة الموالية للحكومة في الأيام والأسابيع التي تلت ذلك باستخدام الضربات الجوية والبراميل والمدفعية ووحدات الدبابات والمشاة في قتالها ضدّ مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية وهيئة تحرير الشام (جبهة النصرة سابقًا).

نتج عن الهجوم إجلاء مقاتلي داعش إلى منطقة البادية الصحراوية ومقاتلي تحرير الشام إلى إدلب، في حين خضعت البلدات الثلاثة التي تسيطر عليها فصائل المعارضة في شرق اليرموك مباشرة للمصالحة وإخلاء عدة آلاف من المقاتلين والمدنيين (بما في ذلك عدد من الفلسطينيين) إلى مخيمات النازحين البائسة في شمال غرب سوريا.[٧٣]

استمرت المعركة الأخيرة من أجل استعادة مخيم اليرموك لمدة شهر واحد فقط، ولكن سيتحول الكثير مما تبقى من اليرموك إلى أنقاض وذاكرة.

٧٢ - سيقوم مقاتلو تنظيم داعش الذين تم إجلائهم من جنوب دمشق، في وقت لاحق، بدور محوري في الهجمات الوحشية على عدة تجمعات من محافظة السويداء الواقعة في جنوب سوريا، والتي راح ضحيتها المئات من المدنيين في شهر تموز ٢٠١٨.
٧٣ - الأنروا، «مخيم النيرب»، بلا تاريخ، متوفر على الرابط:‹https://www.unrwa.org/where-we-work/syria/neirab-camp›

٣. مخيم النيرب

سيكون مخيم النيرب في حلب مختلفًا عن العديد من المخيمات الفلسطينية الأخرى حول سوريا. فعلى خلاف مخيمي درعا واليرموك، وبالرغم من محاصرته لفترة وجيزة وجزئية من قبل قوات المعارضة بين عامي ٢٠١٢ و٢٠١٣، لكنّها لم تستطع السيطرة عليه على الإطلاق، بالإضافة إلى ذلك، لم يكن مخيم النيرب مكانًا تنجح فيه تجربة اللجان الشعبية - التي كانت تقودها الجبهة الشعبية-القيادة العامة في اليرموك - بالحفاظ عليه فقط، بل سيشهد من خلال دعم حلفاء سوريا تشكيل أهم وأقوى الميليشيات الفلسطينية الموالية للحكومة خلال الصراع السوري.

مخيمات حلب

كانت مدينة حلب موطنًا لمخيمين فلسطينيين قبل النزاع: مخيم النيرب ومخيم حندرات. كان النيرب، على بعد ١٣ كيلومترًا تقريبًا شرق حلب، أكبر المخيمات الرسمية التسعة في سوريا قبل الحرب، حيث كان يعيش فيه حوالي ٢٠,٠٠٠ فلسطيني.[٧٤] أنشئ المخيم في الأصل بين عامي ١٩٤٨ و١٩٥٠ للاجئين النازحين من المناطق الشمالية لفلسطين التاريخية.[٧٥]

سكن بعض اللاجئين الواصلين حديثًا في ثكنات عسكرية مهجورة (بركسات) كانت قد استخدمتها قوات الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية. فتمّ تقسيم كلّ مبنى من مباني الثكنات، والتي كان عددها ٩٤ مبنى، إلى ١٠ وحدات سكنية فُصل فيما بينها في البداية بواسطة ملاءات.[٧٦]

ستبقى العائلات لعقود في هذا السكن العشوائي من الكتل الخرسانية سيئة التهوية، المقسمة إلى وحدات بجدران مؤقتة وأسقف تغطيها ألواح معدنية مموجة، مما أدى إلى إعلان الأونروا في عام ٢٠٠٧ أن مخيم النيرب «يعاني من أسوأ ظروف معيشية بين كل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في سوريا،» حيث يعيش اللاجئون هناك «منذ ما يقارب من ٦٠ عامًا في ظروف مخيفة وغير إنسانية حيث تأويهم سلسلة من ثكنات (بركسات) الجيش الذي تمّ إخلاؤه.»[٧٧]

أطلقت الأونروا في عام ٢٠٠٠ أول مشروع تنموي على الإطلاق لإعادة تأهيل المساكن والحد من الاكتظاظ في مخيم النيرب قبل إعادة إسكان العائلات في مخيم حلب الآخر، وهو مخيم حندرات.[٧٨] يقع مخيم حندرات (عين التل) على بعد حوالي ١٣ كيلومترًا شمال شرق مدينة حلب، وتمّ إنشاؤه كمخيم غير رسمي في عام ١٩٦٢. كان المخيم موطنًا لحوالي سبعة آلاف نسمة سابقًا قبل دخول قوات المعارضة المخيم في شهر نيسان ٢٠١٣ وتشريد جميع السكان قسرًا.[٧٩]

كان لمخيمي حلب سمات مختلفة، وبالتالي اختبرا الانتفاضة السورية بطرق مختلفة. كان مخيما النيرب وحندرات، بالمقارنة مع المخيمات الأخرى في جميع أنحاء البلاد، خارج المدينة كليًا، وتموضعا في مساحات من الأراضي النائية بالقرب من الأراضي الزراعية (مخيم النيرب) أو منحدرات التلال الصخرية (مخيم حندرات).[٨٠]

كان هذا على النقيض من جميع المخيمات الفلسطينية الرئيسية في سوريا تقريبًا - بما في ذلك مخيم درعا واليرموك، والتي جاءت قيمتها الاستراتيجية وأهميتها خلال الانتفاضة من حقيقة أن المخيمين كانا متصلين بالمدن المضيفة لكل منهما. لم يندمج الفلسطينيون مباشرة في مجتمع حلب بنفس الطريقة التي كانوا عليها في مكان مثل مخيم درعا أو اليرموك. في الوقت نفسه، تشير بعض المصادر إلى أنه من بين المخيمين، كان حندرات أفضل اندماجًا مع المناطق المحيطة به مقارنة بالنيرب - وذلك بمساعدة الشبكات الاجتماعية التي تمّ تشكيلها من خلال العمل والجامعة.

بحسب مصدر مطلع من مدينة حلب ومقرب من الفصائل الفلسطينية في مخيم النيرب:[٨١]

كان اندماج مخيم حندرات أفضل في محيطه المحلي، ويمكنك اكتشاف ذلك من خلال لكنة

٧٤ - حمد موعد (١٩٩٩)، «اللاجئون الفلسطينيون في سوريا: ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم»، المركز الدولي للأبحاث التنموية، ١٩٩٩، ص. ١٧-١٨ وص. ٢٥. متوفر على الرابط:‹http://prrn.mcgill.ca/prrn/al-mawed.pdf›.
٧٥ - ن. غابيام (٢٠١٤)، «تنفيذ مشروع إعادة تأهيل مخيم النيرب: مقاربة الأنروا للتنمية في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في سوريا»، الأنروا واللاجئون الفلسطينيين: من الإغاثة والأعمال إلى التنمية البشرية، حرره ساري حنفي وليلى هلال وليكس تكنبرغ، روتليدج، ٢٠١٤.
٧٦ - الأنروا (٢٠٠٧)، مقتبس في ن. غابيام (٢٠١٦)، سياسة المعاناة، ص. ٨٦.
٧٧ - أصبح ما يسمى مشروع إعادة تأهيل مخيم النيرب أول محاولة للأنروا لمشروع طويل الأمد يهدف بشكل خاص إلى تنمية/إعادة تأهيل وليس مجرد مساعدة إنسانية. هدف المشروع إلى إعادة إسكان أولئك الذين يعيشون في بركسات (أو على الأقل أولئك السكان الراغبين في الانتقال إلى مساكن حديثة البناء في منطقة حندرات) ثمّ استبدال الثكنات بإسكان أفضل جودة. حظي المشروع في البداية بجدل داخل المجتمع الفلسطيني المحلي بسبب التصور أن وكالة الأمم المتحدة أرادت أن تدمر البركسات، وهو موقع ذو أهمية كبيرة للمفاهيم الفلسطينية المحلية المتعلق بالذاكرة والمعاناة التي حلت بهم بسبب إسرائيل والمجتمع الدولي. للحصول على تقرير موثق عن مشروع إعادة تأهيل مخيم النيرب، أنظر: ن. غابيام (٢٠١٦)، «سياسة المعاناة».
٧٨ - الأنروا، «عين التل (مخيم غير رسمي)»، غير مؤرخ، متوفر على الرابط:
٧٩ - https://www.unrwa.org/where-we-work/syria/ein-el-tal-unofficial-camp
٨٠ - يبدو مدخل مخيم النيرب من الجهة الغربية لغاية الآن وكأنه طريق فرعي يمر عبر الحقول.
٨١ - طلبت جميع المصادر التي تمت مقابلتها في هذا الفصل عدم الكشف عن هويتها لأسباب أمنية. فتم تغيير الأسماء وحجب التفاصيل وفقًا لذلك.

أهل المخيم. كانت لهجة أهل حندرات، لأن المخيم كان على اتصال أكثر بالمدينة، أقرب إلى اللهجة الحلبية بدلاً من اللهجة الفلسطينية. أما في النيرب، من ناحية أخرى، كانت اللهجة الفلسطينية أقرب إلى لهجة الجليل (في فلسطين).

كان المستوى العالي من المشاركة في السياسة الفلسطينية يعزى ربما إلى هذه المستويات المنخفضة من اندماج كلا المخيمين في المجتمعات السورية المحلية. وفقًا للمصدر نفسه، كان معظم الناس في مخيم النيرب مرتبطين بفصيل معين أو منظمة سياسية. بالإضافة إلى ذلك، وجد عالم الأنثروبولوجيا نيل غابيام أن الفصائل الفلسطينية قامت بدور بارز في العمل الخيري والبرامج الاجتماعية في المخيمات قبل الحرب. قامت حماس وفتح وجماعة الجهاد الإسلامي في فلسطين بإدارة «جمعيات خيرية مجتمعية» في حندرات، في حين أدارت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين روضة أطفال للعائلات ذات الدخل المنخفض ومركز للشباب في النيرب.[٨٢]

استضاف مخيم النيرب أيضًا، كما في المخيمات لأخرى، مركزًا للمنظمات الخيرية الفلسطينية التابعة للحكومة (الهيئة الخيرية لإغاثة الشعب الفلسطيني)، والتي ضم مجلس إدارتها أعضاء فلسطينيين من حزب البعث، وممثلي الفصائل والمستقلين.[٨٣]

بالرغم من ذلك، لم يكن أي من الفصائل الفلسطينية الموالية، على سبيل المثال الصاعقة والجبهة الشعبية-القيادة العامة، تتمتع بنفوذ كبير في مخيم النيرب، الأمر الذي سيؤثر على كيفية قيام الجهات المؤيدة للحكومة داخل المخيم وحوله بعملية التعبئة بعد اندلاع الانتفاضة في عام ٢٠١١.

الانتفاضة السورية في حلب

استغرقت الثورة السورية وقتًا أطول للانطلاق في مدينة حلب مقارنة بالمدن السورية الأخرى. فلطالما كانت حلب، وكونها مركزًا تاريخيًا للتجارة، موطنًا لشبكة من العلاقات المتينة بين كل من التجار ورجال الأعمال والصناعيين الذين لم يكن لديهم الكثير ليكسبوه، بل سيخسرون الكثير من جراء الاضطرابات - ناهيك عن انتفاضة شاملة.

في حين جاءت احتجاجات حلب الأولى بعد وقت قصير من اندلاع الانتفاضة في درعا، إلا أن الحركة فشلت في التجذر بالطريقة التي كانت عليها في حمص أو دمشق. تصاعدت احتجاجات حلب تدريجيًا خلال تلك الأشهر القليلة الأولى من الانتفاضة - لا سيما في الضواحي العشوائية للطبقة العاملة المترامية الأطراف فيالجهة الشرقية لمدينة حلب. مع ذلك، سرعان ما كثفت الحكومة السورية عمليات القمع حيث استخدم الرصاص الحي في مناسبات متعددة. فقد ورد أنه في ٦ أيلول ٢٠١١ سارعشرات الآلاف في جنازة الشيخ إبراهيم السلقيني، وهو شيخ مؤيد للمعارضة وتوفي في المشفى في ظروف غامضة بعد زيارة إلى منزله من قبل عناصر أمن الدولة (المخابرات). بعد ذلك بوقت قصير انتشرت الشائعات بأن المخابرات كانت تقف وراء موته بسبب موقفه المؤيد للثورة.[٨٤]

سرعان ما أصبحت جامعة حلب الحاضنة لحركة الاحتجاج المحلية، وأدّت المشاركة القوية للطلاب الفلسطينيين في احتجاجات الحرم الجامعي لإنشاء أول رابطٍ متين بين المدينة والمخيمين الفلسطينيين القابعين على أطراف المدينة.

هكذا جلب الطلاب حماسة الشعارات الثورية والنشاط المجتمعي إلى المخيمات.

كان الريف، برغم الاحتجاجات التي ما تزال تحدث أسبوعيًا في الضواحي الشرقية للمدينة، هو من أنتج تمرد حلب المسلح، وسرعان ما اجتاح المقاتلون المعارضون المناطق الشرقية من ريف حلب، وبذلك أصبح لكل من المخيمين الفلسطينيين أهمية استراتيجية كبيرة بحكم مواقعهم وكذلك المواقع الاستراتيجية التي كانوا بقربها - وهذا هو السبب في حرص كل من فصائل المعارضة والقوات الموالية للحكومة على رؤية المخيمات مسيسة ومعسكرة (غالبًا على حساب حياة المدنيين الفلسطينيين الذين يعيشون في المخيمات).

– يقع مخيم حندرات على تلة منحدرة تشكل نقطة انطلاق لجزء كبير من السفح الريفي في شمال شرق حلب. أصبح مهمًا أيضًا مع تطور الصراع، نظرًا لقربه من الخطوط الأمامية الهامة مثل مشفى الكندي الذي ستتبادل قوات النظام والمعارضة السيطرة عليه عدة مرات أثناء الصراع.

- يقع مخيم النيرب من ناحية أخرى على بعد كيلومتر واحد من المطارات المدنية والعسكرية الرئيسية في حلب. أصبح المطار العسكري بعد عام ٢٠١٢ مركزًا لحملة الأسد الجوية في حلب، والتي شنّ منها سلاح الجو السوري غارات جوية بالبراميل (البراميل المتفجرة) فوق الأجزاء التي تسيطر عليها فصائل المعارضة في المدينة والريف النائي، كان المطار أيضًا خط إمداد استراتيجي وحيوي للنظام إضافة إلى حلفائه الإيرانيين والروس، فكان لا بدّ من حماية المطار بأي ثمن عندما بدأت قوات المعارضة بمهاجمة المنطقة من جميع الجهات بعد عام ٢٠١٢.

٨٢ - ن. غابيام (٢٠١٦)، «سياسة المعاناة»، ص. ٥٧.
٨٣ - المصدر السابق.
٨٤ - لوس أنجيلوس تايمز، «سوريا: وفاة رجل دين سني معروف يثير الاضطرابات في حلب»، ٦ أيلول ٢٠١١. متوفر على الرابط:‹https://latimesblogs.latimes.com/babylonbeyond/2011/09/syria-aleppo-sunni-cleric.html›

بحلول منتصف عام ٢٠١٢، لم يعد بإمكان الحكومة السورية وحلفائها تجاهل المخيمات أكثر من ذلك، فعندما تقدم المعارضون من ريف حلب الجنوبي باتجاه الطريق السريع بجانب مخيم النيرب والمطار معه، كان لا بد من عمل شيءً ما. في مخيمات أخرى، ربما يلجأ النظام إلى الجبهة الشعبية-القيادة العامة أو الفصائل الفلسطينية الموالية الأخرى للمساعدة في إعداد وتسليح المجتمعات المحلية، إلا أنّ حضورهم الضعيف نسبيًا في مخيمات حلب أدى إلى تحول المخابرات السورية بدلاً من ذلك إلى حلفاء جدد - من خلال الاعتماد على تشكيلات عسكرية جديدة من الشبيحة على هامش المؤسسة الأمنية التي لم يكن لها مرجع واحد داخل الأفرع الأمنية، أو كانت تخضع لمناطق المسؤولية الجغرافية والتي تنطبق عادة على الجهات الأمنية للنظام.

بحسب رواية لواء القدس، كانت بدايات تشكيله متواضعة نسبيًا. فقد صرح نائب قائد اللواء عدنان السيد، أثناء مقابلة أجريت معه كجزء من فيلم وثائقي عام ٢٠١٧ عن مخيم النيرب من قبل قناة الميادين التلفزيونية المرتبطة بحزب الله، أن لواء القدس تلقى «الضوء الأخضر» من الحكومة السورية لتسليح مخيم النيرب، لكن قبل ذلك قامت مجموعة صغيرة من الرجال الشرفاء ببدء العمل.[٨٥]

زودتنا الدولة بالأسلحة - بعض الأسلحة، ولكن على أساس فردي ... ليس بشكل مستمر. أخذنا الضوء الأخضر لتسليح المخيم. فقد كنت أنا نفسي، والسيد محمد (قائد اللواء) والشهيد محمد رافع. كنا نشتري أسلحة ... وزودتنا الدولة بالذخيرة والأسلحة عبر مطار (حلب).[٨٦]

وبنفس الاسلوب قام محمد أبو الليل، الممثل الإعلامي للواء القدس، بتأطير اللواء على غرار الرواية الوطنية الفلسطينية، وتصوير مقاتلي المعارضة كعملاء صهاينة، ولواء القدس كحامي للأرض.

كانت أهداف هذه الجماعات المسلحة (المتمردة)، التي ظهرت حول مخيم النيرب وحلب، هي نفس أهداف الصهيونية - للضغط على الفلسطينيين وتهجيرهم من المخيم.

كرر قائد لواء القدس محمد السعيد في مقابلة في وقت سابق من العام نفس الموقف. ادعى السعيد أن «اللواء ... لعب دورًا رئيسيًا في حماية مخيم النيرب.»[٨٧] مضيفًا أنهم قاتلوا الفصائل المسلحة والتي زعم أنها مدعومة من إسرائيل بتكلفة باهظة للمخيم، حيث كانت هناك «صور شهداء من الشباب الفلسطينيين تصطف على جدرانه.»[٨٨]

في حقيقة الأمر، تطلب تشكيل ما سيصبح لواء القدس تنسيقًا رفيع المستوى بين أفرع المخابرات السورية وشبكات الشبيحة (الميليشيات التي ترعاها الدولة) مع القيادات الفلسطينية الموالية في حلب، بالاضافة للدعم الذي أتى بعد ذلك بقليل من الداعمين الرئيسيين للنظام السوري، إيران وروسيا.

سيصبح لواءالقدس أكثرمن مجرد وحدة لحماية الأحياء بكثير.

٨٥ - جميع الاقتباسات اللاحقة من أعضاء لواء القدس مأخوذة من الفلم الوثائقي لقناة الميادين في ٢٠١٧ والمذكور أدناه، ما لم يذكر خلاف ذلك. حاول المؤلفون مقابلة أعضاء لواء القدس أثناء عملية البحث لهذا التقرير، ولكنهم إما رفضوا أو لم يقوموا بالرد. وقام المؤلفون أيضًا بمراقبة وسائل التواصل الاجتماعي لصفحات لواء القدس على الفيس بوك للمساعدة في هذا البحث.
٨٦ - قناة الميادين (٢٠١٧)، «من الأرض - حلب: مخيم النيرب». قناة يوتيوب: برامج الميادين، ٥ أيار ٢٠١٧. متوفر على الرابط: ‹ - ‹https://www.youtube.com/watch?v=Ez1b5SyWrYo›
٨٧ - استخدمت عبارة «ادعى السعيد» لأن جميع الروايات تقريبًا حول تأسيس لواء القدس تتفق على أن اللواء أسس في الوقت الذي سيطرت فيه قوات المعارضة على مخيم حندرات وحاصرت مخيم النيرب في عام ٢٠١٣.
٨٨ - الدوري (٢٠١٧)، «قائد لواء القدس لمؤسسة دام برس: هدفنا هو تطهير كافة الأراضي السورية من الإرهابيين، وبوصلتنا هي القدس». ١٧ شباط ٢٠١٧. متوفر على الرابط: ‹http://www.dampress.net/mobile/?page=show_det&category_id=6&id=77095›

«كان من المهم للمخيم أن يحمي نفسه»

عندما اندلعت الثورة السورية لأول مرة في حلب، كان معظم الرجال الذين سيصلون ليصبحوا قادة رئيسيين في لواء القدس، يقودون مجموعات صغيرة من الشبيحة مهمتها قمع المظاهرات المناهضة للحكومة داخل حلب بعنف، وكان عدنان السيد يدير تجارة فاشلة لبيع الأثاث، كان معروفًا عن محمد رافع وهو نجل مقاتل سابق في حركة فتح، بأنّه ليس أكثر من مجرم محلي: «شخص فاشل،» كما قال أحد سكان المخيم سابقًا.

> بدأ النظام بتشكيل لجان شعبية للشبيحة لمواجهة المظاهرات والحركة [الشعبية] في حلب، وكانت التجمعات الفلسطينية في المدينة وحولها جزءًا من هذا أيضًا.
>
> بدأ النظام حوالي منتصف عام ٢٠١٢ في تشكيل مجموعات صغيرة داخل مخيم النيرب والتي لا يزيد عددها عن أصابع اليدين، حيث كان كلّ من حسن المصري وعدنان السيد وزهير شريح من مخيم النيرب معنيين بتشكيل اللجان الشعبية، كان حسن المصري أول من شكل إحدى هذه اللجان المسلحة، وكان دائمًا يدعي أن هدفها هو حماية المخيم وأنها لن تشارك أبدًا في أي عمل خارج المخيم نفسه.
>
> مع ذلك، كان عدنان السيد وزهير شريح يخرجان الناس في شاحنة صغيرة في كل أسبوع - لم يكن هناك أكثر من تسعة منهم - لقمع المظاهرات التي كانت تحدث يوم الجمعة بالقرب من مسجد كذا وكذا في هذه المنطقة أو تلك.

كان محمد السعيد يعمل في نفس المجال ولكن داخل مدينة حلب نفسها، وهو نجل أحد مقاتلي فتح البارزين من مخيم النيرب. عمل السعيد سابقًا كمهندس معماري في الخليج قبل أن يعود إلى حلب في السنوات التي سبقت الانتفاضة مباشرة. حيث بدأ العمل في مجال البناء إلى جانب أعضاء نافذين في شبكات المحسوبية المحلية للنظام السوري.

فقام ببناء علاقات حيوية مع ضباط في المخابرات الجوية - ويقال أن السعيد قريب جدًا من رئيس المخابرات الجوية السابق في حلب، العميد أديب سلامة،[٨٩] والذي كان بدوره على علاقة وثيقة مع شخصيات موالية للحكومة في حلب مثل حسام قاطرجي.

كان عمل السعيد في مجال البناء مع عشيرة بري على قدر من الأهمية أيضًا، وهي عائلة سنية قوية من حلب قريبة من الحكومة السورية ولكنها تعمل أيضًا كشبكة للجريمة المنظمة حيث تدير شبكات أعمال غير مشروعة خاصة بها كما تقوم بتهريب الأموال، وتمتلك هذه العائلة ميليشيات مكونة بالأساس من أنصارها في منطقة باب النيرب، والتي تقع على المشارف الجنوبية لمدينة حلب على بعد بضع كيلومترات غرب مخيم النيرب.[٩٠]

بحسب مازن، وهو من مدينة حلب وأحد قادة المقاتلين الفلسطينيين التابعين للمعارضة:

> عمل [السعيد وعشيرة بري] معًا في مشاريع البناء والتخطيط العمراني ... [و] بسبب العلاقات القوية لعشيرة بري مع الأجهزة الأمنية والبرلمان، تمكنوا من تجاوز القوانين الرسمية التي تمنع البناء غير المرخص [العشوائيات] . كان السعيد هو الشخص المشرف على هذا العمل.

أصبح السعيد نتيجة لذلك الشخصية البارزة في هيكيلة الشبيحة الجديدة التي ظهرت من مخيم النيرب.

في تلك الأثناء شاهدت الأحياء السورية المعارضة مقاتلين فلسطينيين يمارسون العنف نيابة عن الحكومة السورية، ودونوا ذلك في مفكراتهم، هكذا وخلال وقت قصير انخرطت مخيمات حلب في دائرة التصعيد مع جيرانها السوريين.

شهد مخيم النيرب أول اشتباك في ٢٤ حزيران ٢٠١٢حيث قُتل رجال من الطرفين، ثم اندلعت اشتباكات بين الشبيحة الفلسطينيين من مخيم النيرب وقرية مجاورة تحمل نفس الاسم، فألقت مصادر مؤيدة للمعارضة باللوم على عدنان السيد ومحمد محمود رافع، نجل أحد مقاتلي فتح البارزين، لمحاولة إذكاء الانقسامات بين المجتمعين.[٩١] يتذكر مازن:

٨٩ - مركز عمران للدراسات الاستراتيجية (٢٠١٩)، المؤسسة العسكرية السورية في ٢٠١٩: الطائفية، المليشيات والاستثمارات الخارجية، ص. ٨١.

٩٠ - لطالما كان لعشيرة بري حضورًا محوريًا ومواليًا للحكومة في حلب لسنوات عديدة، وقد جمعت ثروتها من عمليات التهريب أثناء الاحتلال السوري للبنان. كان حسن بري عضوًا في مجلس الشعب (البرلمان) السوري، وقاد أخوه عائلة بري لغاية اعدامه على أيدي عناصر من لواء التوحيد المعارض في شهر تموز ٢٠١٢.

٩١ - تم إلقاء اللوم على القادة محليًا، حيث تظهر أفلام الاحتجاجات في ذلك الوقت في قرية النيرب محتجين غاضبين يطالبون برأس السيد قبل أن يهتفوا شعارات مؤيده للمعارضة «الشعب يريد اسقاط النظام». ويظهر شريط آخر الاشتباكات رجال محليين يحاربون ما يطلقون عليه شبيحة من عشيرة بري.

«بدأ النظام والشبيحة ببث دعاية حول دخول الجيش الحر [السوري] ... إلى المخيم، لذا كان من المهم للمخيم أن يحمي نفسه.»

كان الأسوأ قادمًا، فبعد بضعة أسابيع وفي ١٠ تموز ٢٠١٢، اختطف مهاجمون مجهولون أكثر من اثني عشر مقاتلاً من جيش التحرير الفلسطيني - شباب من مخيم حندرات ومخيم النيرب - أثناء عودتهم إلى حلب من معسكر مصياف التابع للجيش السوري (في محافظة حماة) لقضاء إجازة من الخدمة العسكرية. بحسب الرواية الرسمية، اختطف الرجال على جانب الطريق في مكان ما في محافظة حماة من قبل مقاتلي المعارضة ثم أعدموا، أعيدت الجثث إلى المخيمات وكان سكان النيرب يستشيطون غضبًا.

> ولكن ما تزال القصة غارقة في الروايات والشائعات المضادة، حيث يلوم أحد الجانبين الآخر. فعلى سبيل المثال ادعى مازن قائد من مقاتلي المعارضة:
>
> كانت الأخبار تقول منذ البداية أنه تم اعتقال مجموعة من جيش التحرير الفلسطيني في فرع أمني. تم نقل هذه القصة في ذلك الوقت من قبل قادة جيش التحرير الفلسطيني في مصياف، والذين كانوا يتابعون قضية اعتقال [المقاتلين] في أحد الأفرع الأمنية.
>
> بالطبع، زعم أنصار النظام أن المعارضة قامت بذلك، لكن الحقيقة هي أن النظام اعتقلهم ثم قاموا بتعذيبهم حتى الموت في أحد [أقبيته].

أشارت التقارير لاحقًا إلى العثور على صور لجثتي اثنين من مقاتلي جيش التحرير الفلسطيني المختطفين، محمود أبو الليل وأنس كريم، في فرع الأمن الجنائي التابع للحكومة السورية في إدلب. وبحسب ما ورد فقد تم جمع المعلومات من الوثائق التي تم الاستيلاء عليها عندما اقتحم مقاتلون إسلاميون متشددون المدينة (ومنشآت حكومية مختلفة) في أوائل عام ٢٠١٥.[٩٢] ولم يكن من الممكن التحقق من تلك التقارير بشكل مستقل.

بغض النظر عما حدث لمقاتلي جيش التحرير الفلسطيني، فقد تصاعدت الأحداث بسرعة بعد ذلك، وبحلول أواخر عام ٢٠١٢ طوقت قوات المعارضة مخيم النيرب تقريبًا وفرضت حصارًا جزئيًا على عشرات الآلاف من المدنيين الذين يعيشون هناك. بدأت أفرع المخابرات تسليح جماعات الشبيحة الفلسطينية داخل النيرب، وقامت غرفة عمليات مشتركة في مطار حلب، تضمّ قادة إيرانيين، بتنسيق العمليات العسكرية بالتعاون مع الشبيحة.

على الرغم من أن حصار مخيم النيرب سوف يكسر من قبل الجيش السوري في شهر نيسان ٢٠١٣ - في نفس الشهر الذي اقتحمت فيه قوات المعارضة مخيم حندرات وشردت جميع سكانه قسرًا[٩٣] - أدى كلا الحدثين إلى تحويل المشاعر الفلسطينية المحلية بشكل كبير لصالح الحكومة السورية، سهّل هذا الأمر على الأفرع الأمنية والفصائل الفلسطينية تسليح النيرب وإبقاء المخيم في صفهم.

بحلول شهر تشرين الأول ٢٠١٣، تم جمع الخليط الفوضوي لمجموعات الشبيحة تحت مسمىً واحدًا، وبسبب الضعف النسبي للفصائل الفلسطينية الموالية مثل الجبهة الشعبية-القيادة العامة في مخيم النيرب، سعى النظام بدلاً من ذلك إلى تشكيل هيكل فلسطيني جديد تمامًا، بعيدًا عن تلك الشبكات التقليدية، لكنه لن يختلف في أصوله أو شكله أو سلوكه عن أيّ من المليشيات الأخرى التي شكلتها الحكومة السورية وحلفاؤها خلال الصراع.

كانت مجموعات مثل لواء القدس أقرب إلى شبكات ميليشيات النظام، على عكس اللجان الشعبية التي أنشئت مباشرة تحت قيادة الفصائل الموالية التقليدية (الصاعقة، الجبهة الشعبية-القيادة العامة، إلخ)، وسيرتبط العديد من هذه المليشيات الحديثة بفيلق الحرس الثوري الإيراني، سينضم الروس لاحقًا إلى هذا العمل من خلال دعمهم وتدريبهم لمجموعات مثل لواء القدس.

على هذا النحو، كان للعديد من حلفاء الحكومة يد في تشكيل لواء القدس، واستغل السعيد علاقاته مع المخابرات الجوية وعشيرة بري لتأمين الأسلحة والتمويل في وقت مبكر.

٩٢ - مجموعة العمل من أجل فلسطيني سوريا (٢٠١٧)، «خمس سنوات منذ المجزرة ضد جيش التحرير الفلسطيني شمال سوريا، ما زال الفاعلين مجهولين»، ١١ تموز ٢٠١٧. متوفر على الرابط: ‹https://www.actionpal.org.uk/en/post/5468/news-and-reports/5-years-since-massacre-against-palestine-liberation-army-north-of-syria-perpetrator-remains-unidentified›

٩٣ - ن. غابيام (٢٠١٦)، سياسة المعاناة، ص. ١٥٣.

كما قال مازن:

> جاء دعم [لواء القدس] أولاً عبر المخابرات الجوية وعشيرة البري في شكل تمويل وأسلحة، فقد بدأوا في التجنيد بين السكان والشباب في مخيم النيرب تحت ذريعة الدفاع عن المخيم وحمايته على طول حدوده، بدلاً من أن يكون له أي علاقة بالقتال خارج المخيم أو داخله.

كان لواء القدس بحلول عام ٢٠١٤ يتلقى الدعم والتمويل الإيراني أيضًا، بالإضافة إلى احتمال تدريبهم من قبل حزب الله على الأرض، كجزء من قوات الدفاع المحلية،[٩٤] قام أفراد في الوقت نفسه من النيرب على الأغلب، بتزويد لواء القدس بجسر إضافي إلى الإيرانيين.

كان رياض كامل الخطيب، بحسب مصدر مطلع ومقرب من الفصائل الفلسطينية في مخيم النيرب، أحد الشخصيات الرئيسة وراء الكواليس خلال سنوات التشكيل الأولى للواء القدس، فقد كان الخطيب نفسه قائدًا لإحدى لجان الشبيحة الشعبية في النيرب قبل عام ٢٠١٣، وتكمن أهميته لأنه وفّر جسرًا للإيرانيين، بعد الزعم أنه عمل معهم مسبقًا كشخص يجند الأعضاء لصالح فصائل فلسطينية مدعومة من إيران (بالتحديد حماس والجهاد الإسلامي) قبل عام ٢٠١١.[٩٥]

أضاف المصدر أن الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية-القيادة العامة، طلال الناجي، طلب من الخطيب ومحمد مصطفى رئيس الفرقة الحزبية البعثية في النيرب (فرقة تيسير الحلبي)، إعطاء الشرعية المحلية للمبادرة:

> كان الهدف من إنشاء لواء القدس هو خلق جبهة فلسطينية موحدة ومسيطرة، وعلى رأسها طلال الناجي الذي يدير الأمور نيابة عن القيادة السورية، بينما يجمع كل المرتزقة والعاطلين عن العمل وغيرهم [في النيرب] والراغبين في محاربة المعارضة تحت قيادة هذه الجبهة.

بينما يتم وصف لواء القدس دائمًا في وسائل الإعلام الموالية للحكومة بأنّه جسم فلسطيني، غالبًا باسم «لواء القدس الفلسطيني،» فإن العديد من المقاتلين هم سوريون أكثر منهم فلسطينيين (والذين يشغلون المناصب العليا). قام لواء القدس بتجنيد واستيعاب مقاتلين من قريتي نبل والزهراء ذات الغالبية الشيعية شمال غرب حلب.

لواء القدس: حلب وما بعدها

كان لواء القدس موجودًا بشكل ما منذ عام ٢٠١٣، ولكن ظهرت شهرته للعلن فعليًا خلال المعارك لاستعادة حلب من المعارضة بعد عام ٢٠١٥، عندما بدأ اللواء المشاركة إلى جانب الجيش السوري والميليشيات الشيعية المدعومة من إيران وسلاح الجو الروسي، فقد كان لواء القدس محوريًا في استعادة السيطرة على مخيم حندرات في شهر أيلول ٢٠١٦ من جماعات المعارضةالمسلحة، مما ساعد الحكومة السورية وحلفائها على السيطرة على طريق الكاستيلو وحاصر في نهاية المطاف شرق حلب الذي تسيطر عليه فصائل المعارضة.

ومنذ ذلك الحين شارك لواء القدس في الخطوط الأمامية الموالية للحكومة في جميع أنحاء سوريا - في دير الزور واللاذقية وحماة وإدلب ودمشق وريف دمشق وشرق حمص والقنيطرة ودرعا - وغالبًا بالتنسيق بشكل وثيق مع الروس.

بدأ اللواء بتشكيل أفرع محلية في هذه المناطق، وبذلك تحول لواء القدس من قوة فلسطينية بمهمة تقتصر على ما يبدو على حماية مطار حلب، إلى قوة ذات امتداد على كامل الارض السورية، تشارك بشكل متكرر في الهجمات إلى جانب الوحدات النظامية للجيش السوري وحلفائه الروس، يعد لواء القدس من بين أكبر القوى الرديفة التي تقاتل إلى جانب الحكومة السورية وحلفائها.[٩٦]

بدأ الإيرانيون منذ أوائل عام ٢٠١٨ بالتراجع عن دعمهم السابق للواء القدس، ممّا أدى إلى إعادة هيكلة داخلية في صفوف قيادات اللواء، وتعرض أيضًا لواء القدس للضغوط بسبب الادعاء عن نشاطات جرمية قام بها أعضاؤه بما في ذلك النهب. حيث تم اعتقال سامر رافع، وهو شقيق رئيس العمليات السابق محمد بتهمة السرقة والاختلاس.

أصبح دعم روسيا للواء القدس أكثر علانية عبر السنين لا سيما منذ سقوط حلب الشرقية التي كانت تسيطر عليها

٩٤ - قوات الدفاع المحلية هي مجموعة من الميليشيات المدعومة من قبل إيران متواجدة في مدينة حلب وريفها حصرًا. وهي مشابهة لمليشيات قوات الدفاع الوطني والمدعومة من إيران على مستوى سوريا. في منشور للواء القدس على موقع فيسبوك في شهر تموز ٢٠١٤ عرف المجموعة «كقوات دفاع امحلية تابعة للجيش العربي السوري». أيمن جواد التميمي، (٢٠١٦)، «قوات الدفاع المحلية: قوات النظام الرديفة في حلب»، تعليق سوريا، ٢٣ أيار ٢٠١٦.

٩٥ - يظهر مقطع فيديو نشره على الفيسبوك الممثل الإعلامي للواء القدس محمد أبوا الليل في شهر كانون الثاني ٢٠١٩ الخطيب وهو يتحدث للعديد من الشخصيات البارزة في لواء القدس داخل منزل عائلة الرافع في مخيم النيرب.

٩٦ - مركز عمران للدراسات الاستراتيجية (٢٠١٩)، «المؤسسة العسكرية السورية»، ٢٠١٩، ص. ٨٣.

فصائل المعارضة والانخفاض المزعوم في الدعم الإيراني الذي بدأ في عام ٢٠١٨- وفي شهر تشرين الأول عام ٢٠١٦ تم تصوير السعيد ورافع وهما يتلقيان أوسمة من ضباط في الجيش الروسي، ربما تقديرًا لدور اللواء في استعادة مخيم حندرات[٩٧]- كان رافع قد تلقى وسامًا روسيًا آخر قبل ذلك - وتشير الصور السابقة إلى أنّ الروابط الروسية مع لواء القدس لتاريخ تعود إلى ربيع عام٢٠١٦.

يزعم بعض المراقبين أن روسيا أعادت نشر عناصر لواء القدس في أرياف حلب بهدف محاصرة نفوذ الميليشيات المدعومة من إيران والفرقة الرابعة في الجيش السوري، حيث يملك اللواء الآن مقرين، أحدهما لمحمد السعيد في وسط مدينة حلب والآخر لنائبه السيد في مخيم النيرب نفسه. كما كُلف اللواء بالسيطرة على مخيم حندرات المدمر بنسبة ٧٥ بالمائة بالكامل خلال فترة الصراع، وتستخدم مناطق من المخيم للتدريب العسكري بمشاركة المستشارين العسكريين الروس، حيث يظهر مقطع فيديو نُشر في ٥ آذار ٢٠١٩ مستشارين عسكريين روس وضباط سوريين يراقبون تدريبات في «اقتحام مواقع محصنة» لمقاتلي لواء القدس.[٩٨]

في الوقت نفسه، يتولى اللواء إدارة الخدمات الأساسية في المخيم، وبموجب هذا وعلى سبيل المثال، استطاع احتكار سوق الغاز المحلي، كما أنه يتوجب على أي مدني يرغب في زيارة منازله في حندرات الحصول على إذن مسبق للدخول من ضابط أمن اللواء، تتهم مصادر محلية أيضًا لواء القدس بارتكاب انتهاكات بحق المدنيين في النيرب وحندرات وريف حلب على نطاق أوسع.

حسب مصدر مطلع ومقرب من الفصائل الفلسطينية في مخيم النيرب، بدأ مقاتلو لواء القدس العائدون من الخطوط الأمامية يتصرفون مثل أي جماعة شبيحة أخرى من خلال مزيج من القمع والابتزاز.

> لم تعد هناك معارك كبرى تتعلق باللواء، لذلك عاد عدد من الأشخاص الذين كانوا يشاركون في المعارك سابقًا إلى المخيم، وقد أدّى هذا إلى نشوب الاحتكاكات.
>
> بدأ [هؤلاء المقاتلون] في الاعتداء على الأشخاص وإيذائهم داخل المخيم؛ كما عملوا في الاتجار بالمخدرات والكحول والبغاء في المخيمات التي يتواجدون فيها؛ وأخذوا بسرقة الناس - فعلى سبيل المثال، يعتمد الناس على المولدات أثناء انقطاع التيار الكهربائي في حلب، عندها يفرضون إجراءات على أصحاب المولدات وكذلك على المخابز.

٩٧ - أ. توماج (٢٠١٦)، «التأثير الروسي جلي في المليشيات الفلسطينية في سوريا»، لونغ وور جورنال، ١٤ تشرين الأول ٢٠١٦. متوفر على الرابط: ‹https://www.longwarjournal.org/archives/2016/10/russian-influence-evident-in-palestinian-militia-in-syria.php›

٩٨ - سي. وايز (٢٠١٩)، «القوات الخاصة الروسية تُدرب المليشيات الفلسطينية في سوريا»، لونغ وور جورنال، ٦ آذار ٢٠١٩. متوفر على الربط: ‹https://www.longwarjournal.org/archives/2019/03/russian-special-forces-train-palestinian-militia-in-syria.php›.

الخلاصة: المخيمات اليوم

يتبع هذا التقرير جدولاً زمنيًا تاريخيًا من خلال فصول متسلسلة تقريبًا وترسم هذه الفصول خطًا بيانيًا للأحداث في مخيم درعا ومخيم اليرموك ومخيم النيرب:

بداية عشية احتجاجات درعا في ١٨ آذار ٢٠١١ والتي كان من شأنها أن تطلق في نهاية المطاف شرارة الانتفاضة على الصعيد الوطني السوري، كما رصد التقريرالاحتكاكات السياسية الأولى في مخيم اليرموك، وفي النهاية كشف سياسات الحكومة السورية للسيطرة على المجتمع الفلسطيني في النيرب والتي شهدت صعود إحدى أقوى الميليشيات الموالية للحكومة خلال فترة الحرب.

ولكن مالذي حدث بعد ذلك؟

مع انتهاء الصراع السوري المتجدد في المخيمات الثلاثة إلى حدٍ كبير، سيقدم المؤلفون الآن آخر التطورات عمّا حدث لكل منهم حتى يومنا هذا في محاولة لشرح بعض التحديات - المحلية والوطنية - والتي تواجهها المجتمعات الفلسطينية في سوريا.

مخيم درعا

كان مخيم درعا آخر المخيمات التي عادت إلى سيطرة الحكومة في عام ٢٠١٨، و قد فُرِغ من معظم ساكنيه بسبب قصف النظام والهجمات البرية منذ العام ٢٠١٢، كما أدى القصف اللاحق إلى تدمير معظم أجزاء المخيم، يُظهر مقطع فيديو تم تصويره من قبل نشطاء إعلاميين محليين في شهر تموز ٢٠١٧ مدى الدمار الصادم في المخيم، فقد بدا كمشهد تشكيليّ صامت من المنازل المطوية على نفسها ولا وجود لأحد في الأفق.[٩٩]

في شهر تموز ٢٠١٨، وافقت منطقة درعا البلد والمناطق المتبقية التي تسيطر عليها فصائل المعارضة في محافظة درعا على سلسلة من الهدنات المحلية، وبحسب نص الاتفاق سيخضع أولئك الذين يرغبون في تسوية وضعهم مع الحكومة السورية إلى المصالحة وبالتالي (تسوية وضعهم) في غضون فترة أمان مدتها ستة أشهر تضمن عدم ملاحقتهم. أما بالنسبة لغير الراغبين في الدخول في اتفاقات المصالحة فلهم الخيار في ركوب حافلات الإخلاء الخضراء التابعة للحكومة السورية والتوجه إلى المناطق التي تسيطر عليها المعارضة في شمال غرب حلب وإدلب.[١٠٠]

شَاب اتفاقات درعا خرق للوعود وقمع للأفراد الذين اعتبرتهم الدولة أعداءها، كما حدث في مناطق ما بعد المصالحة السورية الأخرى، أدى ذلك بدوره إلى أعمال انتقامية من قبل جماعات المصالحة من المعارضة، حيث شَنت موجة من الاغتيالات والتفجيرات على نطاق ضيق ضد الأهداف الموالية للحكومة (بما في ذلك المسؤولون المحليون الذين قاموا بالتوسط في صفقات المصالحة). شهدت درعا أيضًا تشكيل جماعة معارضة مناهضة للحكومة تعرف باسم المقاومة الشعبية، حيث قام مسلحون مجهولون داخل مخيم درعا في أوائل شهر تشرين الثاني ٢٠١٩ بتوزيع بيان مطبوع يهدد بالتصعيد ضد القوات الموالية للحكومة، بما في ذلك الميليشيات المدعومة من إيران، إذا لم يغادروا المخيم في غضون ٧٢ ساعة.[١٠١]على الرغم من عدم متابعة التهديدات، إلا أن ذلك يعكس التوترات المتصاعدة التي ما تزال موجودة في درعا، فقد استمرت الاغتيالات منذ ذلك الحين، ويتوقع البعض هجومًا وشيكًا لاستعادة المناطق شبه المستقلة في درعا التي بقيت حتى الآن، بما في ذلك درعا البلد بعد أن بدأت القوات الموالية للحكومة بمهاجمة مناطق مماثلة مثل الصنمين وجلين في أوائل عام ٢٠٢٠.[١٠٢]

عادت أعداد صغيرة من المدنيين إلى منازلهم منذ سقوط درعا البلد في شهر تموز ٢٠١٨، وقامت الأنروا بإجراء تقييم للأضرار داخل مخيم درعا.

يبدو أن إعادة الإعمار احتمال بعيد ولكن و بالرغم من ذلك ألمح المسؤولون في درعا في العام نفسه إلى خطة إعادة إعمار محتملة لمخيم درعا على غرار تطوير «مدينة ماروتا» الجارية حاليًا في جنوب غرب دمشق.[١٠٣] إلا أن الخطة قد

٩٩ - وكالة نبأ (٢٠١٧)، «لقطات جوية تظهر حجم الدمار الهائل في مخيم درعا بسبب القصف الجوي والمدفعي»، يوتيوب، ١٠ تموز ٢٠١٧. متوفر على الرابط: ‹https://www.youtube.com/watch?v=W-ZbaY0tc94›

١٠٠ - وافقت جميع المصادر المقتبسة في فصل مخيم درعا على الخيار الأخير والخروج إلى محافظة إدلب خوفًا من انتقام المخابرات والأفرع الأمنية بسبب نشاطهم خلال سنوات الانتفاضة والحرب.

١٠١ - مجموعة العمل من أجل فلسطيني سوريا (٢٠١٩)، «الأمن السوري متهم بتوزيع منشورات تحريضية باسم مخيم درعا»، ٦ تشرين الثاني ٢٠١٩. متوفر على الرابط: ‹http://www.actionpal.org.uk/ar/post/12529›.

١٠٢ - ت. رولينز (٢٠٢٠)، «الاضطرابات في جنوب غرب سوريا تتحول إلى حرب مدن»، ذا ناشيونال، ٨ آذار ٢٠٢٠. متوفر على الرابط: ‹https://www.thenational.ae/world/mena/unrest-in-south-west-syria-erupts-into-urban-warfare-1.989980›

١٠٣ - سبوتنيك بالعربي (٢٠١٨)، «محافظ درعا محمد الهنوس: سيتم تحويل مخيم الفلسطينيين في درعا إلى منطقة تطوير عقاري مشابهة لمنطقة المزة في دمشق». يوتيوب ٢٩ تشرين الأول ٢٠١٨. متوفر على الرابط: ‹https://www.youtube.com/watch?v=1juIRjcLAV8›

شحبت لاحقًا وفقًا لمصادر مطلعة على الأمر، ومايزال من غير الواضح الطريقة التي تخطط الحكومة بها لتنفيذ خطط إعادة الإعمار المثيرة للجدل في التجمعات الفلسطينية، لأسباب ليس أقلها أن أنظمة الملكية في المخيمات الفلسطينية قد تختلف عن تلك الموجودة في المناطق السورية، حيث يعيش الفلسطينيون بموجب تشريعات ملكية مختلفة (مما يؤثر على مراحل مختلفة من العملية القانونية، بما في ذلك كيفية إثبات الملكية العقارية).

يعتبر القانون رقم ١٠ لعام ٢٠١٨ أحد التشريعات الرئيسية التي تنوي الحكومة السورية استخدامها لإعادة الإعمار في المستقبل.[١٠٤] وإذا كان لقانون رقم ١٠ أن يطبق يومًا من الأيام فسيتم على الأغلب هدم كلٍّ من مخيمي طوارئ درعا والنازحين السوريين - كون أغلب مناطقهم مبنية بشكل غير رسمي.

بدأت الأنروا في الوقت نفسه بالعمل لإعاد تأهيل بعضًا من منشآتها السابقة في مخيم درعا، وافتتحت في شهر شباط من هذا العام مدرسة كانت قد تضررت سابقًا.[١٠٥]

مخيم اليرموك

كان اليرموك أكبر وأهم تجمع فلسطيني في سوريا، حيث يمثل حوالي ثلث إجمالي السكان الفلسطينيين في البلاد، ولكنه كان مركزهم السياسي والثقافي أيضًا، حيث يعرف بين اللاجئين داخل الدولة وخارجها بأنه «عاصمة الشتات الفلسطيني.»

لم يكن اليرموك بعيداً عن القتال في السنوات التي سيطرت فيها جماعات المعارضة المسلحة، ومن بعدها الجماعات الإسلامية المتطرفة، إلا أن هجوم عام ٢٠١٨ والذي قامت به القوات الحكومية وقواتها الرديفة لاستعادة السيطرة على المخيم، كان الأكثر تدميرًا من أي شيء سبقه. فقد أدى القصف الجوي اليومي بطائرات حربية سورية وروسية، بالإضافة إلى البراميل المتفجرة، إلى تسوية شوارع بأكملها داخل المخيم بالأرض، قال أحد السكان السابقين الذي عاد إلى المخيم بعد ذلك إنه لتفقد منزله أنه جهد لمعرفة في أي شارع كان يتواجد من كثرة الأنقاض.[١٠٦]

انخرط الجنود السوريون مباشرة بعد الهجوم في حملة نهب واسعة (تعفيش) تركت المنازل منزوعة من أي شيء ذو قيمة تذكر، وصولاً إلى إطارات الأبواب الخشبية والأنابيب النحاسية.

قامت الهيئة العامة للاجئين الفلسطينين العرب وفرق من المتطوعين، وبدعم ضئيل من منظمة التحرير الفلسطينية، بالترتيب لاحقًا لإزالة الأنقاض من بعض شوراع المخيم الرئيسية.[١٠٧]

استمر نشطاء المجتمع الأكبر سنًا الذين مازالوا يعيشون في دمشق يزودون سكان اليرموك بالشتات بآخر التطورات، متفائلين بشأن المستقبل، إلا أنّ البعيدين عن المخيم هم أقل تفائلاً.

ما يزال اليرموك مغلقًا بالكامل تقريبًا أمام المدنيين في دمشق، والذين عليهم أن يقدموا طلبًا للحصول على تصريح أمني من أجل الدخول مؤقتًا إلى المخيم، في الوقت نفسه سمح لما يُقدر أنه يزيد قليلاً عن ٢٠٠ عائلة - بالعودة إلى «المخيم القديم» (في منطقة شارع الجاعونة)، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى أنّ هؤلاء السكان هم من الموالين للجبهة الشعبية - القيادة العامة أو حركة فلسطين حرة، إما كمقاتلين أو أقربائهم.[١٠٨]

يعيش عدة آلاف من سكان المخيم الفلسطينيين السوريين على بعد كيلومتر واحد أو أكثر من شارع فلسطين، في الضواحي الشرقية لليرموك - والذين نزحوا إلى الضواحي المجاورة التي تسيطر عليها فصائل المعارضة - في فقر مدقع مع حرية حركة محدودة وعدم إمكانية الوصول إلى المساعدات الإنسانية، ولا إلى حقوقالسكن والأرض والملكية.[١٠٩]

١٠٤ - يسمح القانون رقم ١٠ الصادر في عام ٢٠١٨ للحكومة السورية تحديد مناطق لإعادة التطوير في إطار مشاريع إعادة الإعمار المستقبلية. ويمنح السلطات المحلية الصلاحيات لطلب إثبات ملكية من أصحاب العقارات الحاليين والسابقين داخل تلك المناطق قبل اضطرار أصحاب العقارات إخلاء المنطقة بعد ذلك والبدء بعملية إعادة الإعمار. بحسب هيومن رايتس ووتش، فإن «المتطلبات الإجرائية في القانون، إلى جانب السياق السياسي الذي يعمل فيه، تخلق إمكانات كبيرة لإساءة المعاملة للسكان النازحين والسكان من المناطق التي كانت تسيطر عليها سابقًا فصائل المعارضة المناهضة للحكومة». يمكن أن يفهم القانون أيضًا في إطار استخدام الحكومة المفترض لسياسات التخطيط الحضري (فيما يتعلق بتنظيم العشوائيات على وجه الخصوص) لنزع وتشريد ومعاقبة من تعتبرهم خصومًا. لمزيد من المعلومات أنظر: هيومن رايتس ووتش (٢٠١٨)، «سؤال وجواب: قانون الملكية الجديد لسوريا»، ٢٩ أيار ٢٠١٨. متوفر على الرابط: ‹https://www.hrw.org/news/٢٠١٨/٠٥/٢٩/qa-syrias-new-property-law›.

١٠٥ - الأنروا (٢٠٢٠)، «الأنروا تفتح مدرسة جديدة في مخيم درعا للاجئين»، ١٢ شباط ٢٠٢٠. متوفر على الرابط: ‹https://www.unrwa.org/newsroom/press-releases/unrwa-inaugurates-new-school-dera'-refugee-camp›

١٠٦ - أ. موسى وت. رولينز (٢٠١٨)، «مع اختفاء داعش، سكان اليرموك ينبشون الأنقاض بحثًا عن منازل وذكريات»، ذا ناشيونال، ٢٤ أيار ٢٠١٨. متوفر على الرابط: ‹https://www.thenational.ae/world/mena/with-isis-gone-yarmouk-civilians-scour-the-rubble-for-homes-memories-1.733641›

١٠٧ - مخيم اليرموك نيوز (٢٠١٨)، ١٥ إيلول ٢٠١٨. متوفر على الرابط: ‹https://www.facebook.com/yarmoknews/posts/1853710804704770›.

١٠٨ ت. رولينز (٢٠١٩)، «تخطط سوريا لإعادة إعمار مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين بالقرب من دمشق»، ذي ناشيونال، ٢٢ تشرين الثاني ٢٠١٩. متوفر على الرابط: ‹https://www.thenational.ae/world/mena/syria-plans-to-rebuild-yarmouk-palestinian-refugee-camp-near-damascus-1.941086›

١٠٩- م. اسماعيل (٢٠٢٠)، «وكأنها درعا، اعتقال خمسين طالبًا من مخيم اليرموك»، المدن، ٥ كانون الثاني ٢٠٢٠. متوفر على الرابط:‹https://www.almodon.com/arabworld/2020/1/وكأنها-درعا-اعتقال-خمسين-طالبا-من-مخيم-اليرموك ›

هذا مجرد مثال واحد على تطبيق النظام (المتعمد) غير المتكافئ لتشريعات السكن والأرض والملكية، وهو أمر سيصبح الدعامة الأساسية لسوريا ما بعد الحرب، حيث سيتم مكافأة الموالين في الوقت الذي سيتم فيه على الأغلب معاقبة المجتمعات غير الجديرة بالثقة والتي تقيم في مناطق كانت خاضعة لسيطرة المعارضة. أما بالنسبة إلى نازحي اليرموك الذين يعيشون الآن في ضواحي جنوب دمشق، لم يتغير سوى القليل جدًا منذ نهاية هجوم عام ٢٠١٨، وقد يصبح هذا الوضع أكثر صعوبة إذا قررت الحكومة السورية تنفيذ خطط إعادة الإعمار التي تم الإعلان عنها مؤخرًا للمخيم والضواحي المحيطة به.

تمّ الإعلان مؤخرًا أن مسؤولي محافظة دمشق يبحثون في عدد من خطط إعادة إعمار اليرموك، وكما هو الحال في مخيم درعا، ما يزال من غير المحتمل تطبيق القانون رقم ١٠ على جميع أنحاء اليرموك، كان المخيم خليطًا من حيث إشغال الأراضي ونماذج الملكية، وقد ألمح المسؤولون إلى إزالة بعض مناطق المساكن العشوائية في اليرموك، في حين سيتمكن جميع السكان السابقين الذين لديهم إثبات قانوني للملكية من العودة يومًا ما، وذكروا أيضًا أن «المخيم القديم» لن يشهد تطبيق القانون ١٠ وسيتمكن السكان السابقين من العودة إلى هذه المنطقة في الأشهر المقبلة.

من المرجح أن تكون الجهات الفلسطينية المؤيدة للحكومة، هي الجهات التي ستستفيد من إعادة بناء اليرموك وإعادة تأهيل المجتمع الفلسطيني (بشكل ما) هناك، وما يزيد المشهد قساوةً أن نفس الأشخاص الذين ساهموا بعسكرة المخيم هم من سيقوم بذلك وليس السكان الفلسطينيين العاديين الذين يأملون في العودة يومًا ما إلى منازلهم - سواء من دمشق أو من برج البراجنة أو من مالمو.

هناك بالفعل إشارات تدل على أن المسؤولين وقادة الميليشيات ورجال الأعمال يتطلعون إلى الاستفادة من وضعهم الجديد، بعد أن ارتقوا من خلال الدوائر الموالية للنظام واقتصاديات الحرب الخاصة بهم، وانهم أخذوا جزءًا من حصة إعادة الإعمار في المستقبل:

- سائد عبدالعال: يُزعم أنه باع أسلحة لفصائل المعارضة في جنوب دمشق عام ٢٠١٢، وأصبح فيما بعد رئيسًا لقوات درع الأقصى، الجناح المسلح لحركة فلسطين حرة التابعة لياسر قشلق، وتشير بعض الدلائل على أن هذه الميليشيا حصلت على تدريب و / أو دعم من الإيرانيين وحزب الله، بعد قيامهم بدور بارز على خطوط اليرموك الأمامية بعد عام ٢٠١٥.
  قام سائد عبدالعال شخصيًا منذ ذلك الحين بدور بارز في الدوائر الفلسطينية الموالية للحكومة، فبعد انتهاء الهجوم على اليرموك مباشرة، شوهد عبدالعال وهو يلتقي بمنظمات المجتمع المدني الفلسطيني السوري، قبل افتتاح مركز ثقافي وعيادة صحية في حي التضامن وبحضور ممثل عن النظام الإيراني، فهو يظهر للعلن أكثر من قشلق، وغالبًا ما يظهر مع النائب السياسي لقشلق، عبد القادر الحيفاوي، وبالتالي يبدو دور قشلق في مخيم اليرموك غامضًا ويصعب فهمه في إطار عدم التواصل مع هذه الشخصيات في دمشق.
- بدأت الشائعات تنتشر في العام الماضي حول رجل أعمال فلسطيني يستعد لاستثمار مبالغ كبيرة من المال في إعادة إعمار اليرموك، ولم تتمكن عدة مصادر تابعة للأمم المتحدة من تأكيد هوية رجل الأعمال هذا. في نفس الوقت وبالنظر إلى أن مناطق اليرموك من المقرر أن يتم تضمينها في مشاريع التنمية الخاضعة لقانون ١٠ تمامًا مثل المناطق المجاورة الأخرى للعاصمة السورية، فإنّ مجموعة كاملة من شبكات الأعمال الموالية للحكومة ستشارك في إعادة بناء المخيم.
- من المهم أيضًا النظر في كيفية استفادة منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية في رام الله من الوضع في سوريا. فعلى الرغم من التدخل المبكر في عام ٢٠١١، عندما أدانت أصوات مقربة من السلطة الفلسطينية في رام الله هجوم الحكومة السورية على مخيم الرمل في اللاذقية،[١١٠] بذلت منظمة التحرير الفلسطينية قصارى جهدها لاحقًا لتبدو محايدة فيما يتعلق بالأحداث في سوريا، وهناك نقاش يجب طرحه بخصوص هذا الموقف بالنظر إلى كيفية تسييس الفلسطينيين في النزاعات والأزمات السياسية السابقة في الأردن ولبنان والكويت (بما في ذلك من قبل قيادة منظمة التحرير الفلسطينية نفسها) والتي غالبًا ما عانت كثيرا نتيجة لذلك.

١١٠ - أ. الحردان (٢٠١٢)، «مصير غير مؤكد للفلسطينيين في سوريا».

قام مسؤولون فلسطينيون بطبيعة الحال بأدوار مختلفة من وراء الكواليس على مدار الصراع السوري - وخاصة في اليرموك، فقد أرسلت منظمة التحرير الفلسطينية مبعوثين من رام الله إلى دمشق بعد بدء حصار اليرموك في منتصف عام ٢٠١٣ للتوسط في مفاوضات وقف إطلاق النار، وسمح لوفد مدني بالخروج من الحصار للقاء المسؤولين، وبحسب أحد أعضاء ذلك الوفد: «قال [مبعوثو منظمة التحرير الفلسطينية] إن الحكومة السورية كانت تحاول ادخال مساعدات إنسانية، لكن هؤلاء»الإرهابيين»- واستخدموا هذه الكلمة - كانوا يحتجزون المخيم كرهينة،» مضيفًا أن حقيقة إرسال منظمة التحرير الفلسطينية مسؤولاً صغيرًا نسبيًا «كان علامة على أنهم لم يأخذوا الأمر على محمل الجد.»[١١١]

خضعت منظمة التحرير الفلسطينية من ذلك الحين لضغط شديد لعدم القيام بالمزيد - علانية أو غير ذلك - للدفاع عن التجمعات الفلسطينية داخل سوريا. كما غضب الفلسطينيون السوريون المناهضون للنظام من التمركز الواضح لبعض شخصيات منظمة التحرير الفلسطينية في دعم مباشر للنظام.

بعد ذلك، أصبح أحمد مجدلاني، الأمين العام لجبهة النضال الشعبي والتي تتخذ من رام الله مقرًا لها، مبعوثًا لمنظمة التحرير الفلسطينية بين رام الله ودمشق، وردد مرارًا خطاب النظام حول مواضيع حساسة تتعلق باليرموك (ومخيمات أخرى). وبعد قيام القوات الموالية للحكومة بالسيطرة على خان الشيح، وهو مخيم فلسطيني أصغر في ريف جنوب دمشق، أكد الممثل السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية في دمشق أنورعبدالهادي، التزام المنظمة «بالحياد» لكنّه شكر السلطات السورية على «عودة الأمن» إلى خان الشيح.[١١٢] ويشك بعض المراقبين في أن منظمة التحرير الفلسطينية، وفتح على وجه الخصوص، أملت في تحسين موقفها مع الحكومة السورية من خلال موقفها شبه المحايد خلال النزاع، بعد سنوات من التحييد جراء الانفصال عن الرئيس حافظ الأسد في الثمانينيات. كما قام أعضاء من منظمة التحرير الفلسطينية في دمشق بدور بارز في المناقشات حول إعادة إعمار اليرموك في المستقبل.

مخيم النيرب

لم يسقط النيرب قط في أيدي قوات المعارضة خلال مسار الحرب في حلب، مما يعني أن المخيم كان قادرًا على «الاحتفاظ بشكله المعتاد.»[١١٣]

إلا أن مشروع ميليشيا لواء القدس غيّر المشهد السياسي والفصائلي في النيرب بشكل جذري، مما أثر على حياة المدنيين الفلسطينيين بعدة طرق، حيث يتم التداول أنه يسيطرعلى الخدمات المحلية بالإضافة إلى مشاريع البنية التحتية - تم تصوير الميليشيا العام الماضي وهي تساعد السلطات المحلية في شق طرق اسفلتيه جديدة داخل النيرب- وتشير روايات أخرى إلى تدخل اللواء في مولدات الكهرباء والخدمات الأخرى، وهناك روايات تدور حول استخدام لواء القدس منافذه الجديدة وممتلكاته لدعم المجتمع الفلسطيني الفقير تاريخيًا، بالإضافة إلى مزاعم التربح من الحرب وتفشي القمع والفساد في الوقت نفسه.

إن نفود لواء القدس لا يقتصر على الوسط المحلي فقط، فقد أصبحت المجموعة واحدة من أكبر وأهم القوات الرديفة التي تقاتل إلى جانب الجيش السوري خلال مسار النزاع - بحيث تطور من عصابة متفرقة من مجموعات الشبيحة إلى ميليشيا بارزة على الصعيد الوطني- تدعمها شخصيات مخابراتية هامة وكذلك الإيرانيون والروس.[١١٤]

قد تبدو الآفاق المستقبلية للواء القدس واعدة الآن، إلا أنها ليست مضمونة بأي حال من الأحوال، حيث يعتمد الفصيل على الدعم الخارجي وعلاقاته مع العديد من عناصر المخابرات السورية والشبكات الفصائلية، وواجه صعوبات

١١١ - ت. رولينز (٢٠١٧)، «هل تساعد أم تضر منظمة التحرير الفلسطينية الفلسطينيين في سوريا؟»، الجزيرة الناطقة بالإنكليزية، ١٤ شباط ٢٠١٧. متوفر على الرابط: ‹https://www.aljazeera.com/indepth/features/2017/01/plo-helping-harming-palestinians-syria-170125093017460.html›

١١٢ - المصدر السابق.

١١٣ - ن. غابيام (٢٠١٦)، سياسة المعاناة، ص.١٥٥.

١١٤ - لقد تجلى ذلك في حفل عزاء والد قائد لواء القدس محمد السعيد في عام ٢٠١٩ في دمشق. شوهد العديد من الشخصيات البارزة في مقطع فيديو تمت مشاركته على القنوات الموالية للنظام. حيث يدخل مفتي سوريا أحمد بدرالدين حسون الحفل ليجد العديد من شخصيات الميليشيات الفلسطينية السورية بانتظاره لإلقاء التحية، ومنهم: مقاتلو المقاومة المسنون وشخصيات بارزة في الجبهة الشعبية-القيادة العامة بما في ذلك طلال ناجي ولاعبين جدد مثل سائد عبدالعال قائد مليشيا حركة فلسطين حرة.

مسبقًا بعد السحب التدريجي للدعم الإيراني، مما أدى إلى إعادة هيكلته داخليًا (والتي تمت بسهولة، على الأقل حتى الآن، من خلال زيادة الدعم الروسي). إلا أن الحظ يمكن أن يتعثر بناءً على سياسات الروس المستقبلية في مدينة حلب.

سيترتب على شخصيات لواء القدس مثل السعيد والسيد الآن الإبحار في العالم المعقد والمتهالك لشبكات المحسوبية الموالية للنظام - السعيد كشخص متمرس وله اتصالات في فترة ما قبل الحرب مع عشيرة بري والمخابرات الجوية، ولكن السيد بخبرة واتصالات أقل.

من المؤكد أن شخصيات مثل السعيد ستسعى إلى الاستفادة من أنشطة اقتصاد الحرب والاستثمارات العقارية ومشاريع إعادة الإعمار في المستقبل في شرق حلب والمناطق المحيطة بمخيم النيرب، ولكن حملة «مكافحة الفساد» الأخيرة ضدّ رجل النظام المدلل رامي مخلوف، هي تذكير بأن قلّة من الناس فوق القانون، لقد اتخذ الرئيس الأسد بالفعل اجراءات ضد الميليشيات في حلب في الماضي،[١١٥] وبدل اعتقال سامر الرافع من لواء القدس بسبب نشاطه الاقتصادي غير المشروع على أن أعضاء الفصائل ليسوا من الأشخاص الذين لا يمكن المساس بهم في أعين النظام.

حاشية: مجتمع فلسطيني سوري جديد؟

تتصاعد وتيرة الكلام عن كسب الحكومة السورية للحرب، فقد استعادت الحكومة السورية وحلفائها - خصوصًا منذ عام ٢٠١٦ – السيطرة على غالبية البلد، إلا أن استمرار الأعمال القتالية في شمال غرب سوريا وعدم الاستقرار الذي خلفه الهجوم بقيادة تركيا عام ٢٠١٩ في الشمال الشرقي، يضع هذا الادعاء في دائرة الشك.

ينطبق الشيء نفسه على المخيمات الفلسطينية في سوريا، فقدعادت الآن جميع المخيمات الفلسطينية، الرسمية وغير الرسمية الـ ١٢ التي وجدت في سوريا قبل انتفاضة ٢٠١١، إلى سيطرة الحكومة، في حين كان نصف هذا العدد على الأقل في مناطق تسيطر عليها المعارضة أو مناطق خطوط المواجهة خلال نقاط مختلفة من الحرب، مع ذلك، أدى الصراع إلى تدمير العديد من المخيمات.

تفيد التقارير في تلك الأثناء إلى قيام الحكومة السورية بإعداد خطط لإعادة الإعمار مثيرة للجدل، بحيث من المرجح أن تجرد قطاعات كبيرة من السكان الأصليين في المخيمات قبل الحرب من ملكيتهم عندما يتم تطبيق تلك الخطط - ولكن بالرغم من ذلك ستقوم العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي على مستثمرين سوريين كبار في مجال إعادة الإعمار وإقرار قانون قيصر في العام الماضي، على الأغلب بتأخير أي احتمال لإعادة الإعمار الشامل في سوريا في المدى المنظور. في تلك الأثناء، تتطلب جميع المخيمات الفلسطينية إعادة تأهيل جذرية للبنية التحتية والإسكان، ويمكن القول أن حفنة فقط من المخيمات قد نجت من الحرب نسبيًا دون أن يمسها أحد -[١١٦] ومخيم النيرب هو واحد منها.

لقد تغير المجتمع الفلسطيني في سوريا، وبلا رجعة، وأيًا كانت طريقة تحليله، بمجرد النظر إلى المخيمات الثلاثة التي تمت دراستها في هذا التقرير، لقد تم تدميراثنين منها - درعا واليرموك - بشكل كامل تقريبًا. تمكن مخيم النيرب في حلب من البقاء إلى حد ما خارج إطار أسوأ ما في الصراع، فعلى الرغم من أن النيرب عاش في حصار فرضته فصائل المعارضة في عام ٢٠١٣، إلا أن المخيم ما يزال سليمًا نسبيًا، كما شهد مستويات نزوح أقل مقارنة بالسكان في المجتمعات الأخرى قبل الحرب.

إلا أن قيمة المخيمات كانت على الدوام أكثر من مجرد حجارة وقذائف الهاون، ونتيجة لتبعات الانتفاضة والصراع فُقد الكثير من ذلك.

لقد تمّ تهجير غالبية السكان الفلسطينيين داخل سوريا، حيث انتقل معظمهم من مكان إلى آخر مرة واحدة على الأقل، وفي غضون ذلك، فرّ خُمس السكان قبل الحرب من البلاد كليًا، حيث اختفت حركات المجتمع المدني النابضة بالنشاط، وكذلك اختفى نشطاء الإغاثة والمبادرات الإنسانية الذين توحدوا في البداية للاستجابة لاحتياجات المدنيين الذين شردتهم الانتفاضة - مثل المشفى الميداني في مخيم درعا، أو العديد من المنظمات غير الحكومية الفلسطينية التي قامت بمساعد النازحين السوريين في

١١٥ - أ. لوند (٢٠١٧)، «مليشيات حلب تصبح اختبارًا رئيسيًا للأسد»، ذنيو هيومانيتيريان، ٢٢ حزيران ٢٠١٧. متوفر على الرابط:‹http://www.thenewhumanitarian.org/analysis/2017/06/22/aleppo-militias-become-major-test-assad›

١١٦ - لم يتم جر مخيم العائدين في حمص ومخيم جرمانا في جنوب دمشق إلى اقتتال شامل على الرغم من أن الخطوط الأمامية كانت قريبة جدًا في كثير من الأحيان. مع ذلك شهد كلاهما، مثل كل المخيمات في جميع أنحاء البلاد، تجنيدًا قسريًا وحملات اعتقال وخسائر لأفراد أسر بسبب القتال والاعتقال والقتل المستهدف الذي قام به كلا الطرفين (ولكن بأعداد أكبر من قبل القوات الموالية للحكومة).

اليرموك قبل شهر كانون الأول عام ٢٠١٢ - والتي تلتها لاحقًا شبكات الناشطين، ومبادرات الزراعة المحلية، ومجموعات مراقبة الانتهاكات. لقد تمّ اختبارعلاقات التضامن الموجودة بين التجمعات الفلسطينية وجيرانها في أغلب الأحيان، فقام النظام باعتقال وتعذيب وقتل الفلسطينيين الذين اعتبرهم غير موالين، كما تم اغتيالهم وإعدامهم من قبل الجماعات الإسلامية المتطرفة مثل داعش.

لكن أي مستقبل ينتظر المجتمع الفلسطيني السوري؟

حتى الآن، كان هناك القليل من التركيز على الديناميكيات داخل المجتمع الفلسطيني-السوري داخل سوريا، بمعنى أنه غالبًا ما يساء فهم الأحداث المعقدة التي حدثت داخل هذه المجتمعات، والديناميات الأكثر تعقيدًا التي أنتجتها.

تواجه المجتمعات الفلسطينية الآن تحديات لا تعد ولا تحصى، بعضها مشابه لما تواجهه بقية أنحاء سوريا، والبعض الآخر خاص جدًا بالجالية الفلسطينية السورية.

قام المؤلفون هنا بتحديد بعضًا من تلك التحديات المحورية وما يمكن أن تعنيه لمستقبل المجتمع الفلسطيني داخل سوريا.

ديناميات المجتمع

كانت المخيمات الفلسطينية في المناطق الحضرية غالبًا مندمجة بشكل جيد في الجسد السياسي السوري المحيط، على الرغم من أن هذا ليس صحيحًا دائمًا في المخيمات والتجمعات الريفية الأكثر بعدًا، بحيث أصبح من شبه المستحيل عدم تسييس وعسكرة المخيمات. فقد تطور مخيم درعا بالقرب من مخيم النازحين السوريين في نفس الحي، وكان يُعتبر بدرجة أقل امتدادًا للمدينة على نطاق أوسع.

كان اليرموك في الأساس امتدادًا لدمشق، حيث كان السوريون الدمشقيون يرتادونه للتسوق وتناول الطعام والاختلاط. وكان النيرب من ناحية أخرى، أكثر عزلة اجتماعيًا واقتصاديًا، لكنه سيصبح فيما بعد أكثر اندماجًا في منظومة الجهاز الأمني للنظام السوري بمساعدة لواء القدس.

أثبتت الجغرافيا أنها ديناميكية حاسمة، حيث تعمل المخيمات في كثير من الأحيان كجسور بين المناطق النائية الريفية والحضرية في ضواحي المدن الكبرى، كما أنها أصبحت مواقع استراتيجية للغاية داخل المدن نفسها، وهذا ما دعا فصائل المعارضة لاعتبار المخيمات أماكن هامة يجب الاحتفاظ بها للتقدم ولا سيما مع هجوم منتصف عام ٢٠١٢ على دمشق الذي شهد في نهاية المطاف سقوط اليرموك على أيدي مقاتلي المعارضة، وبالمقابل كانت ينظر إلى المخيمات كمواقع دفاعية استراتيجية للقوات الموالية للحكومة أيضًا.

كانت ردود المخيمات الفلسطينية بعيدة عن التجانس عندما اندلعت الانتفاضة في سوريا، فقد حاولت بعض الجهات داخل المجتمعات الفلسطينية أن تبقى محايدة تمامًا، بينما سعى آخرون إلى شكل من أشكال الحياد من خلال إبقاء الاحتجاجات المناهضة للحكومة خارج المخيمات الفلسطينية وحصر مشاركة الفلسطينيين في أدوار بعيدة عن المشاركة المباشرة مثل اغاثة النازحين وتأمينهم دعمًا للمناطق الثائرة، شارك آخرون مباشرة في الأحداث، كما حدث في درعا، وأصبحت المخيمات الفلسطينية فيما بعد مجتمعات مضيفة هامة للنازحين الفارين من العنف الذي تصاعد بشكل ملحوظ بعد عام ٢٠١٢. في نهاية المطاف، غدت الحكومة السورية غير واثقة في الحياد، فإما عاقبته أو تدخلت في الديناميات الداخلية للمخيمات من خلال تسليح الحلفاء. أصبحت فصائل المعارضة، والتي نظر بعضها إلى الفلسطينيين كلاعبين يمتلكون الخبرة السياسية، محبطة من الحياد الفلسطيني في بعض الأحيان وسعت أيضًا إلى تحديه في مخيم اليرموك وحلب.

شهدت المجتمعات الفلسطينية بعد بداية الانتفاضة انفجارًا في الحركات الاحتجاجية ومبادرات التضامن وحركات المجتمع المدني، تلاها استهداف جيل جديد من النشطاء وقادة المجتمع المدني والمدافعين عن حقوق الإنسان الذين برزوا في صفوف الانتفاضات، فاحتُجزوا وقتلوا أو أجبروا على الفرار من البلاد، وعلى الجانب المؤيد للحكومة، غالبًا ما صعدت شخصيات مجتمعية جديدة إلى مواقع بارزة بفضل تعاونها مع وكالات المخابرات السورية وأفرعها الأمنية، أو من خلال اقتصاد الحرب. لقد تجانست هاتان الديناميتان مع المجتمع الفلسطيني. في حين كانت المخيمات الفلسطينية معروفة سابقًا ببنيتها التحتية

المتطورة على صعيد المجتمع المدني ومستويات المشاركة السياسية بين السكان، إلا أن المخيمات أفرغت منذ ذلك الحين.

اقتصاديات اجتماعية

يروي الفلسطينيون في دمشق هذه الأيام قصصًا عن الصعوبات الاقتصادية الخطيرة ومنها ارتفاع الإيجارات العصية عن الدفع واقتراض الأموال من الأقارب في أوروبا وعائلات تعيش على حافة الفقر المدقع.

يعود تفاقم الأوضاع هذا إلى السقوط الحر للاقتصاد السوري ومع أزمة انهيار الليرة السورية وارتفاع أسعار السلع الأساسية، الجميع يعاني تقريبا، فالغالبية العظمى من السوريين يعيشون تحت خط الفقر ولا يختلف الفلسطينيون عنهم بشيء.

كشف مسح أجرته الأونروا مؤخرًا أن أكثر من ٩٠٪ من المجتمع الفلسطيني السوري الذي ما يزال داخل سوريا يعيش في «فقر مدقع.»[١١٧] ويعتمد معظم اللاجئين الفلسطينيين في سوريا بشكل كامل تقريبًا على مساعدات الأونروا المتضائلة، وهي حقيقة تثير القلق نظرًا لأن الأونروا قامت العام الماضي بقطع حزم المساعدات للاجئين الفلسطينيين داخل سوريا إلى النصف نتيجة للأزمة المالية التي تبعت سحب الرئيس دونالد ترامب تمويل وكالة الأمم المتحدة (لقد كانت مساهمات الولايات المتحدة تشكل في السابق غالبية ميزانية الأونروا).

العودة

يحتل الفلسطينيون موقعًا فريدًا في سياق الصراع السوري يسمى «لاجئون مرتين». بالنسبة للكثيرين، هناك وطنان - فلسطين وسوريا - مما يعني أن هناك شكلان من أشكال العودة. عندما يُسأل أي بلد يرغب اللاجئ في العودة إليه، غالبًا ما يكون الجواب مختلفًا من شخص لآخر. مع ذلك، يوجد الآن جيل جديد من اللاجئين الفلسطينيين الذين يحلمون بالعودة إلى شارع صفد في مخيم اليرموك، كما حلم أجدادهم ذات مرة بالعودة إلى مدينة صفد.

العودة إلى مناطق الأراضي الفلسطينية المحتلة، أو إلى مناطق ما يُعرف الآن بإسرائيل (حيث تعود أصول غالبية الفلسطينيين السوريين)، مرهونة بتغيير غير محتمل إلى حد كبير في موقف الحكومة الإسرائيلية، والتي تعتبر عودة اللاجئين الفلسطينيين مرفوضًا وتهديدا وجوديًا لبقائها.

على الرغم من حقيقة أنه يجب منح جميع اللاجئين الفلسطينيين الفرصة للعودة إلى منازلهم الأصلية أو منازل أسلافهم في ما يعرف الآن بدولة إسرائيل والأراضي الفلسطينية المحتلة، إذا كانوا يرغبون، وفقًا لقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، يتحول السؤال بعد ذلك إلى قابلية العودة إلى سوريا.

إنّ العودة بالنسبة للفلسطينيين السوريين النازحين من ديارهم خلال النزاع، سواء داخليًا ضمن سوريا (الأغلبية) أو خارج حدود البلاد إلى البلدان المجاورة و/أو أوروبا (أقلية معتبرة)، ليست بالأمر الهين، فقد تمّ تهجير غالبية السكان الفلسطينيين المتواجدين قبل الحرب (أكثر من مرة)، في حين أن الخمس هربوا من البلاد كليًا، إما طلبوا اللجوء في أوروبا أو يعيشون حياة غير مستقرة في البلدان المجاورة، حيث ما يزالون عرضة للخطر نتيجة لوضع لجوئهم المسبق وانعدام الجنسية.

بحسب أرقام الأونروا ما يزال هناك حوالي ٤٨٣,٠٠٠ لاجئًا فلسطينيًا داخل سوريا حاليًا،[١١٨] (بالرغم من أن البعض يشكك في دقة هذه الأرقام). لكن القرب من المنزل أو المخيم لا يعني بالضرورة أن العودة أمر سيحدث في القريب العاجل، لقد أعيد فتح اثنين فقط من المخيمات التي أقحمت في الصراع - مخيم السبينة والحسينية في ريف دمشق جنوب العاصمة - للمدنيين بصفة رسمية، وعادت أعداد صغيرة من النازحين واللاجئين الفلسطينيين بعد ذلك.[١١٩] أما المخيمات التي لحقت بها أضرار جسيمة أو دمرت بالكامل تقريبًا فما تزال تحت نزوة خطط إعادة الإعمار التي تتبعها الحكومة السورية، والتي على الأغلب ستحرم حقوق الملكية لعددٍ لا يحصى من اللاجئين.

١١٧ - ت. رولينز (٢٠٢٠)، «فقر في كل مكان» يعيش الفلسطينيون في سوريا في ظروف مأساوية»، ميديل ايست أي، ٢٠ شباط ٢٠٢٠. متوفر على الرابط: ‹https://www.middleeasteye.net/news/more-٩٠-percent-palestinians-syria-living-absolute-poverty-says-unrwa›.

١١٨ - الأنروا، «أين نعمل: سوريا».

١١٩ - استولت فصائل المعارضة على مخيم السبينة في عام ٢٠١٢ ثم استعادته القوات الموالية للحكومة في شهر تشرين الثاني عام ٢٠١٣، وظل المخيم مغلقًا حتى عام ٢٠١٧. وأعيد فتح مخيم الحسينية في عام ٢٠١٥ بعد إغلاقه في أواخر عام ٢٠١٢.

هذا لا يعني أن الناس لن تعود، فقد سجلت دول الجوار أعدادًا صغيرة من اللاجئين الفلسطينيين العائدين عبر الحدود إلى سوريا، وكانت هناك أيضًا محاولات مبدئية للعودة المنظمة من لبنان إلى سوريا بالتنسيق مع منظمة التحرير الفلسطينية، حيث يمنح الفلسطينيون السوريون في لبنان بموجب البرنامج الذي تقوده منظمة التحرير الفلسطينية حوافز نقدية إذا عادوا طواعية إلى سوريا، وبحسب المعلومات المتوفرة لدى المؤلفين، فأنه في الوقت الذي تم فيه تسجيل الأسماء الراغبة بالعودة ومن ثم تمّت مراجعتها من قبل الحكومة السورية، لكن لم تحدث مثل هذه الإعادة حتى الآن.[١٢٠]

يتم تنسيق عودة اللاجئين جزئيًا، من قبل أجهزة المخابرات السورية والأفرع الأمنية، مما يعني أن العديد من حوالي ١٢٠,٠٠٠ لاجئ فلسطيني مهجر خارج سوريا قد يكونوا مترددين في العودة على المدى القصير إلى المدى المتوسط (وما بعده).

في الوقت نفسه، يواجه هؤلاء اللاجئون أيضًا تحديات مبررة للوصول إلى حلول دائمة كلاجئين، الأمر الذي قد يجبر أولئك الموجودين في البلدان المجاورة، وحتى أوروبا، على التفكير في العودة إلى وضع في سوريا لا يتمتع بالأمن أو الأمان. هناك بالفعل أدلة على أن هذا يحدث، وأحيانًا ما تكون له عواقب مأساوية: تتحدث روايات أسر سورية تعيش الآن في المانيا عن اختفاء أقاربهم في الحجز بعد عودتهم إلى منازلهم كجزء من برنامج العودة الطوعية الذي قدمته الحكومة الألمانية (والذي يحصل من خلاله اللاجئين الذين يوافقون على العودة الطوعية إلى بلدانهم على منحة مالية).[١٢١]

إعادة الإعمار

على الأرجح لا توجد قضية تقف في طريق عودة اللاجئين الفلسطينيين أكثر من إعادة الإعمار. لقد دمرت الحرب التجمعات الفلسطينية، بحيث تضررت عدّة مخيمات بشدة أو حتى دُمرت بالكامل، وتشير التجارب التاريخية في إعادة بناء المخيمات الفلسطينية، على سبيل المثال في نهر البارد في طرابلس اللبنانية، إلى أن إعادة بناء هذه المخيمات سيستغرق سنوات وربما أطول إذا أخذنا في الاعتبار الوضع الحالي للاقتصاد السوري والوضع المالي للأونروا (بعد سحب التمويل من قبل حكومة الولايات المتحدة).

على المدى القصير، قد يتم سد الثغرات من قبل مجموعة من الجهات الفاعلة داخل سوريا - منظمة التحرير الفلسطينية ورجال الأعمال المرتبطين بالحكومة ورجال الميليشيات وأولئك الذين صعدوا من خلال اقتصاد الحرب - ولكن هناك مشاكل هيكلية في خطط إعادة البناء نفسها.

تهدد خطط الحكومة السورية لإعادة الإعمار بطرد عدد لا يحصى من اللاجئين الفلسطينيين من ديارهم، على الرغم من أن القانون رقم ١٠ لعام ٢٠١٨ قد حظي بأكبر قدر من الاهتمام في المناقشات الدولية حول إعادة الإعمار في سوريا، إلا أن الحكومة السورية أصدرت أكثر من ٤٥ مادة من تشريعات السكن والأرض والملكية منذ عام ٢٠١١ والتي يمكن تطبيقها على هدم المباني وإزالة الركام ومنع وصول السكان إلى منطقة، ومصادرة السكن، وإعادة تخصيص منطقة معينة بالكامل.[١٢٢]

في الواقع، وبسبب طيف أشكال الملكية في المخيمات الفلسطينية، من المرجح أن تطبق الحكومة السورية مجموعة من التشريعات في مناطق مختلفة من المخيم نفسه، مما يعني أن عائلات من نفس المخيم قد يكون لها تجارب مختلفة جذريًا في المستقبل، وما تزال هناك أيضًا بعض المناطق القانونية الرمادية فيما يتعلق بكيفية معاملة السكان الفلسطينيين بموجب القانون رقم ١٠ نظرًا لأن ملكية العقارات الفلسطينية كانت تخضع لتشريع منفصل عن المواطنين السوريين.

من المثير للقلق أنّ هذا المرسوم يتطلب التحقق من ملكية الممتلكات من قبل رب الأسرة من الذكور مع قائمة من الوثائق المحددة - وهو أمر قد يجعله الصراع مستحيلاً بالنسبة لأعداد كبيرة من الأسر لأن رب الأسرة لم يعد موجودًا (بسبب الوفاة أو الاحتجاز أو النزوح) أو لأن العائلة

١٢٠ - ر. أحمد، ن. حوارني، وت. رولينز (٢٠١٨)، «يشكك سكان اليرموك النازحين في عودتهم إلى ديارهم على الرغم من التأكيدات الجديدة: ‹إلى أين سيعود الناس؟›»،سوريا على طول»، ٨ تشرين الثاني ٢٠١٨. متوفر على الرابط:‹https://syriadirect.org/news/displaced-yarmouk-residents-doubtful-of-return-home-despite-fresh-government-assurances-‘where-will-people-return-to’/›

١٢١ - أ. فوهرا (٢٠١٩)، «ترحيب مميت بانتظار لاجئي سوريا العائدين»، فورين بوليسي، ٦ شباط ٢٠١٩. متوفر على الرابط:‹https://foreignpolicy.com/2019/02/06/a-deadly-welcome-awaits-syrias-returning-refugees/›

١٢٢ - س. سمايلي، ن. حوارني، ور. أحمد (٢٠١٨)، «‹سوريا جديدة›: سيبدأ العمل بقانون رقم ١٠ لمشاريع إعادة الإعمار في دمشق، مدعومًا بترسانة من تشريعات الهدم والمصادرة»، سوريا على طول، ١٩ تشرين الثاني ٢٠١٩. متوفر على الرابط:‹https://syriadirect.org/news/‘a-new-syria’-law-10-reconstruction-projects-to-commence-in-damascus-backed-by-arsenal-of-demolition-expropriation-legislation›

لم تعد تمتلك الوثائق ذات الصلة. على سبيل المثال، وجد استطلاع أجراه مجلس اللاجئين النرويجي في عام ٢٠١٦، وبناءً على مقابلات مع اللاجئين في لبنان والأردن والعراق، أن ٧٠ بالمائة من اللاجئين يفتقرون إلى الوثائق الثبوتية الأساسية أو هويات الشخصية.[١٢٣]

١٢٣ - س. أبو راس (٢٠١٧)، «أزمة وثائق اللاجئين السوريين»، مجلس اللجوء النرويجي، ٢٦ كانون الثاني ٢٠١٧. متوفر على الرابط:‹https://www.nrc.no/news/2017/january/syrian-refugees-documentation-crisis›

قائمة المراجع

أ

أ. تلتنز (محرر) (٢٠٠٦)، اللاجئين الفلسطينيين في سوريا: رأس مال بشري، مصادر اقتصادية، ظروف المعيشة، فافو ريسيرش فاونديشن.

أرون لوند (٢٠١٧)، «مليشيات حلب تصبح اختبارًا رئيسيًا للأسد»، ذي نيو هيومانيتيريان، ٢٢ حزيران ٢٠١٧.
http://www.thenewhumanitarian.org/analysis/2017/06/22/aleppo-militias-become-major-test-assad
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

أسامة موسى وتوم رولينز (٢٠١٨)، «مع اختفاء داعش، سكان اليرموك ينبشون الأنقاض بحثًا عن منازل وذكريات»، ذا ناشيونال، ٢٤ أيار ٢٠١٨.
https://www.thenational.ae/world/mena/with-isis-gone-yarmouk-civilians-scour-the-rubble-for-homes-memories-1.733641
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

أمير توماج (٢٠١٦)، «التأثير الروسي جلي في المليشيات الفلسطينية في سوريا»، لونغ وور جورنال، ١٤ تشرين الأول ٢٠١٦.
https://www.longwarjournal.org/archives/2016/10/russian-influence-evident-in-palestinian-militia-in-syria.php
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٢)

أناهيد الحردان (٢٠١٢)، «مصير غير مؤكد للفلسطينيين في سوريا»، الانتفاضة الإلكترونية، ١٢ حزيران ٢٠١٢.
https://electronicintifada.net/content/uncertain-fate-palestinians-syria/11490
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٢)

أناهيد الحردان (٢٠١٦)، الفلسطينييون في سوريا: ذكريات النكبة لمجتمعات ممزقة، جامعة كولومبيا بريس.

أنشال فوهرا (٢٠١٩)، «ترحيب مميت بانتظار لاجئي سوريا العائدين»، فورين بوليسي، ٦ شباط ٢٠١٩.
https://foreignpolicy.com/2019/02/06/a-deadly-welcome-awaits-syrias-returning-refugees/
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا)، «الأمم المتحدة واللاجئون الفلسطينيون»، كانون الثاني ٢٠٠٧. https://www.unrwa.org/userfiles/2010011791015.pdf
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

الأنروا، «لاجئو فلسطين».https://www.unrwa.org/palestine-refugees.
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٢)

الأنروا «أين نعمل: سوريا» https://www.unrwa.org/where-we-work/syria
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٢)

الأنروا (٢٠٢٠)، «الأنروا تفتح مدرسة جديدة في مخيم درعا للاجئين»، ١٢ شباط ٢٠٢٠.
https://www.unrwa.org/newsroom/press-releases/unrwa-inaugurates-new-school-dera'-refugee-camp
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

الأنروا، «عين التل (مخيم غير رسمي)».
https://www.unrwa.org/where-we-work/syria/ein-el-tal-unofficial-camp
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٢)

الأنروا، «مخيم النيرب». https://www.unrwa.org/where-we-work/syria/neirab-camp
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٢)

أورينت نيوز (٢٠١٦)، «قابل أمير داعش في درعا: عضو الإخوان السابق برفقة عبدلله عزام في أفغانستان».
https://orient-news.net/ar/news_show/120830/0/
تعرّف-على-أمير-داعش-بدرعاإخواني-سابق-رافق-عبد-الله-عزام-بأفغانستان/
أيمن دوري (٢٠١٧)، «قائد لواء القدس لمؤسسة دام برس: هدفنا هو تطهير كافة الأراضي السورية من الإرهابيين، وبوصلتنا هي القدس». ١٧ شباط ٢٠١٧.
http://www.dampress.net/mobile/?page=show_det&category_id=6&id=77095
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٢)

ت

توم رولينز (٢٠١٧)، «هل تساعد أم تضر منظمة التحرير الفلسطينية الفلسطينيين في سوريا؟»،
الجزيرة الناطقة بالإنكليزية، ١٤ شباط ٢٠١٧.
https://www.aljazeera.com/indepth/features/2017/01/plo-helping-harming-palestinians-syria-170125093017460.html
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

توم رولينز (٢٠١٨)، «انطلقت الانتفاضة السورية من ضواحيها المهملة، والآن يريد الأسد إعادة بنائها».
ذي ناشيونال، ١٨ حزيران ٢٠١٨.
https://www.thenational.ae/world/mena/syria-s-uprising-came-from-its-neglected-suburbs-now-assad-wants-to-rebuild-them-1.741483
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

توم رولينز (٢٠١٩)، «سوريا تخطط لإعادة إعمار مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين بالقرب من دمشق»،
ذي ناشيونال، ٢٢ تشرين الثاني ٢٠١٩.
https://www.thenational.ae/world/mena/syria-plans-to-rebuild-yarmouk-palestinian-refugee-camp-near-damascus-1.941086
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

توم رولينز (٢٠٢٠)، «الاضطرابات في جنوب غرب سوريا تتحول إلى حرب مدن»، ذا ناشيونال، ٨ آذار ٢٠٢٠.
https://www.thenational.ae/world/mena/unrest-in-south-west-syria-erupts-into-urban-warfare-1.989980
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٢)

توم رولينز (٢٠٢٠)، «فقر في كل مكان» يعيش الفلسطينيون في سوريا في ظروف مأساوية»، ميديل ايست أي، ٢٠ شباط ٢٠٢٠.
https://www.middleeasteye.net/news/more-90-percent-palestinians-syria-living-absolute-poverty-says-unrwa
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٢)

ح

حمد موعد (١٩٩٩)، «اللاجئون الفلسطينيون في سوريا: ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم»،
المركز الدولي للأبحاث التنموية، ١٩٩٩، ص. ١٧-١٨ وص. ٢٥.
http://prrn.mcgill.ca/prrn/al-mawed.pdf
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

د

«**درعا: تشكيل لواء الشهيد طاهر الصياصنة**». يوتيوب ٢٦ شباط ٢٠١٢.
https://www.youtube.com/watch?v=qUxybr6mzsQ
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

ديلي تيليغراف (٢٠١٢)، «سوريا: تعرض مخيم اللاجئين للقصف بالقرب من دمشق»، ٣ آب ٢٠١٢.
https://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/middleeast/syria/9448635/Syria-refugee-camp-shelled-near-Damascus.html
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

ر

رمزي بارود (٢٠١٤)، « كيف تبرأنا من الفلسطينين في سوريا»، كاونتر بانش، ٩ كانون ثاني ٢٠١٤.
https://www.counterpunch.org/2014/01/09/starving-refugees
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

ريم أحمد، نورا حواراني، توم رولينز (٢٠١٨)، «يشكك سكان اليرموك النازحين في عودتهم إلى ديارهم على الرغم من التأكيدات الجديدة: «إلى أين سيعود الناس؟»»، سورياعلى طول، ٨ تشرين الثاني ٢٠١٨.
https://syriadirect.org/news/displaced-yarmouk-residents-doubtful-of-return-home-despite-fresh-government-assurances-'where-will-people-return-to'/
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

ريموند أ. هينيبوش (١٩٨٦)، «السياسة السورية في لبنان والفلسطينيين»، الدراسات العربية الفصلية

س

سامر أبو راس (٢٠١٧)، «أزمة وثائق اللاجئين السوريين»، مجلس اللجوء النرويجي، ٢٦ كانون الثاني ٢٠١٧.
https://www.nrc.no/news/2017/january/syrian-refugees-documentation-crisis/
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

سبوتنيك بالعربي (٢٠١٨)، «محمد الهنوس محافظ درعا»: سيتم تحويل مخيم الفلسطينيين في درعا إلى منطقة تطوير عقاري مشابهة لمنطقة المزة في دمشق». يوتيوب ٢٩ تشرين الأول ٢٠١٨.
https://www.youtube.com/watch?v=1juIRjcLAV8 (تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

سولم أندرسن (٢٠١٧)، «حرب الشرق الأوسط المقبلة؟ من الممكن أن يخاطر حزب الله بكل شيء في حرب شاملة مع إسرائيل»، نيوزويك، ١٣ تموز ٢٠١٧.
https://www.newsweek.com/2017/07/14/middle-east-war-hezbollah-israel-syria-630990.html
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

سيغ سمايلي، نورا حواراني، ريم أحمد (٢٠١٨)، ««سوريا جديدة»: سيبدأ العمل بقانون رقم ١٠ لمشاريع إعادة الإعمار في دمشق، مدعوماً بترسانة من تشريعات الهدم والمصادرة»، سوريا على طول، ١٩ تشرين الثاني ٢٠١٩.
https://syriadirect.org/news/'a-new-syria'-law-10-reconstruction-projects-to-commence-in-damascus-backed-by-arsenal-of-demolition-expropriation-legislation
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

سيلينا ناصر (٢٠١٣)، «إلى فالنتاين: الموت لن يفرقنا»، أمنيستي إنترناشيونال، ١٤ شباط ٢٠١٣.
https://www.amnesty.org/en/latest/campaigns/2013/02/to-my-valentine-death-will-not-part-us/
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

ش

شبكة شام (٢٠١٥)، «قائد أكناف بيت المقدس: لم تنسحب داعش من جنوب دمشق والمعارك مستمرة»، ١٤ نيسان
http://www.shaam.org/news/syria-news/
قائد-اكناف-بيت-المقدس-تنظيم-الدولة-لم-ينسحب-من-جنوب-دمشق-والمعارك-ما-زالت-مستمرة
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٢)

شفيق الحوت (٢٠١١)، «حياتي في منظمة التحرير الفلسطينية: القصة الداخلية للنضال الفلسطيني».
لندن: بلوتو بريس، ٢٠١١.

ص

صفحة فيسبوك لصحيفة الحياة، دار الحياة.
https://www.facebook.com/note.php?note_id=324727504258310
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

ط

طارق حمود (٢٠١٢)، «أثر الثورة السورية على اللاجئين الفلسطينيين»، مجلة دراسات اللاجئين الفلسطنيين.

ق

قاعدة بيانات مركز توثيق الانتهاكات، مصطفى البحطيطي.
http://www.vdc-sy.info/index.php/ar/details/martyrs/824#.XaiIGqnLcjc
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)
قناة الميادين (٢٠١٧)، «من الأرض - حلب: مخيم النيرب». قناة يوتيوب: برامج الميادين، ٥ أيار ٢٠١٧.
https://www.youtube.com/watch?v=Ez1b5SyWrYo (تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٢)

ك

كارنيغي ميدل ايست سنتر (٢٠١٢)، «لجان التنسيق الحلية السورية»، مدونة ديوان، ٢٠ كانون الأول ٢٠١٢ .
https://carnegie-mec.org/diwan/50426?lang=en
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

كاليب وايز (٢٠١٩)، «القوات الخاصة الروسية تدرب المليشيات الفلسطينية في سوريا»، لونغ وور جورنال، ٦ آذار ٢٠١٩.
https://www.longwarjournal.org/archives/2019/03/russian-special-forces-train-palestinian-militia-in-syria.php
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

ل

لوس أنجيلوس تايمز ، «سوريا: وفاة رجل دين سني معروف يثير الاضطرابات في حلب»، ٦ أيلول ٢٠١١.
https://latimesblogs.latimes.com/babylonbeyond/2011/09/syria-aleppo-sunni-cleric.html
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٢)

م

مأمون العباسي (٢٠١٩)، « كيف انتهت خبرة حماس العسكرية مع المتمردين السوريين؟»، ميديل ايست أي.
https://www.middleeasteye.net/news/how-did-hamass-military-expertise-end-syrias-rebels
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

مجموعة العمل من أجل فلسطيني سوريا (٢٠١٧)، «خمس سنوات منذ المجزرة ضد جيش التحرير الفلسطيني شمال سوريا، ما زال الفاعلين مجهولين»، ١١ تموز ٢٠١٧
https://www.actionpal.org.uk/en/post/5468/news-and-reports/5-years-since-massacre-against-palestine-liberation-army-north-of-syria-perpetrator-remains-unidentified
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٢)

مجموعة العمل من أجل فلسطيني سوريا (٢٠١٩)، «الأمن السوري متهم بتوزيع منشورات تحريضية باسم مخيم درعا»، ٦ تشرين الثاني ٢٠١٩. http://www.actionpal.org.uk/ar/post/12529 (تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

مخيم اليرموك نيوز (٢٠١٨)، ١٥ إيلول ٢٠١٨.
https://www.facebook.com/yarmoknews/posts/1853710804704770?__tn__=H-R.
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

مركز عمران للدراسات الاستراتيجية (٢٠١٩)، المؤسسة العسكرية السورية في ٢٠١٩: الطائفية، المليشيات والاستثمارات الخارجية.

مطر اسماعيل (٢٠٢٠)، «وكأنها درعا...اعتقال خمسين طالبًا من مخيم اليرموك»، المدن، ٥ كانون الثاني ٢٠٢٠.
https://www.almodon.com/arabworld/2020/1/5/وكأنها-درعا-اعتقال-٥٠-طالبا-من-مخيم-اليرموك
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

ن

ن. عريقات (٢٠١٤)، «اللاجئون الفلسطينيون والانتفاضة السورية: سد ثغرة الحماية أثناء التهجير القسري الثاني»، أوكسفورد جورنال أف إنترناشيونال رفيوجي لو.

نابوليتانو (٢٠١٣)، «حماس والانتفاضة السورية: خيار صعب»، سياسة الشرق الأوسط.

نك ثومبسون (٢٠١٢)، «حمص: شتاء دموي في عاصمة ‹الثورة السورية›»، سي إن إن، ٧ شباط ٢٠١٢.
https://edition.cnn.com/2011/12/16/world/meast/syria-homs-profile/index.html
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

نور سماحة (٢٠١٥)، «المدافعون عن اليرموك»، فورين بوليسي، ٤ أيار ٢٠١٥.
https://foreignpolicy.com/2015/05/04/inside-the-ruins-of-yarmouk-refugee-camp-syria
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

نيل غابيام (٢٠١٤)، «تنفيذ مشروع إعادة تأهيل مخيم النيرب: مقاربة الأنروا للتنمية في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في سوريا»، الأنروا واللاجئين الفلسطينيين: من الإغاثة والأعمال إلى التنمية البشرية، حرره ساري حنفي وليلى هلال وليكس تكنبرغ، روتليدج، ٢٠١٤.

نيل غابيام (٢٠١٦)، سياسة المعاناة: مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في سوريا، جامعة انديانا بريس.

هـ

هيومن رايتس ووتش (٢٠١١)، «سوريا: جرائم ضد الإنسانية في درعا»، ١ حزيران ٢٠١١.
https://www.hrw.org/news/2011/06/01/syria-crimes-against-humanity-daraa
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)



هيومن رايتس ووتش (٢٠١٨)، «سؤال وجواب: قانون الملكية الجديد لسوريا»، ٢٩ أيار ٢٠١٨.
https://www.hrw.org/news/2018/05/29/qa-syrias-new-property-law
(تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

و
وكالة نبأ (٢٠١٧)، «لقطات جوية تظهر حجم الدمار الهائل في مخيم درعا بسبب القصف الجوي والمدفعي»،
يوتيوب، ١٠ تموز ٢٠١٧.
https://www.youtube.com/watch?v=W-ZbaY0tc94 (تم الدخول في ٢٠٢٠/٥/١٣)

ي
يزيد صايغ (١٩٩٧)، «الكفاح المسلح والبحث عن دولة: الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٤٩-١٩٩٣»،
جامعة أكسفورد بريس.


WWW.ROSALUX.DE